

# المعلوم والمجهول

الجزء الثاني

ولي الدين بك

سنة ١٣٢٩ - ١٩١١



الوزير الحر والفاضل الجليل رشيد عاكف باشا  
والي سيواس ثم ناظر الداخلية سابقاً  
واحد اعضاء مجلس الاعيان الآن صحيفة ( ٩٠ )



الفاضل الحر والهمام الأبي ارستيدي باشا

معاون الوالي بسيواس ثم مبعوث ازمير ثم ناظر الحراج والمعادن سابقاً  
واحد اعضاء مجلس الاعيان اليوم



الصديق الأوفى والشهم الأبى المسيوم . جويت

قنصل الولايات المتحدة الاميركية بسيواس سابقاً

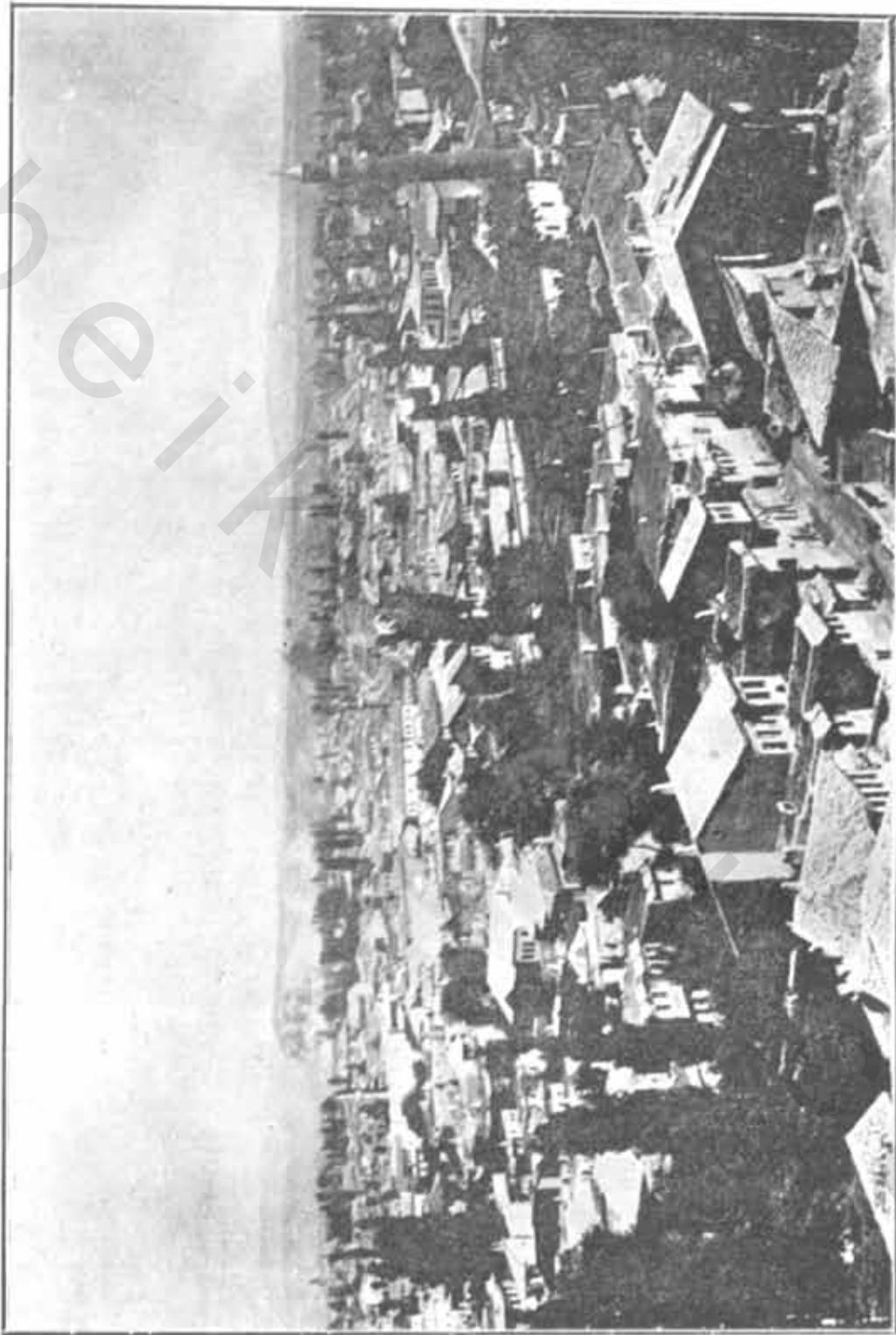
وقنصلها بطرابزون الآن



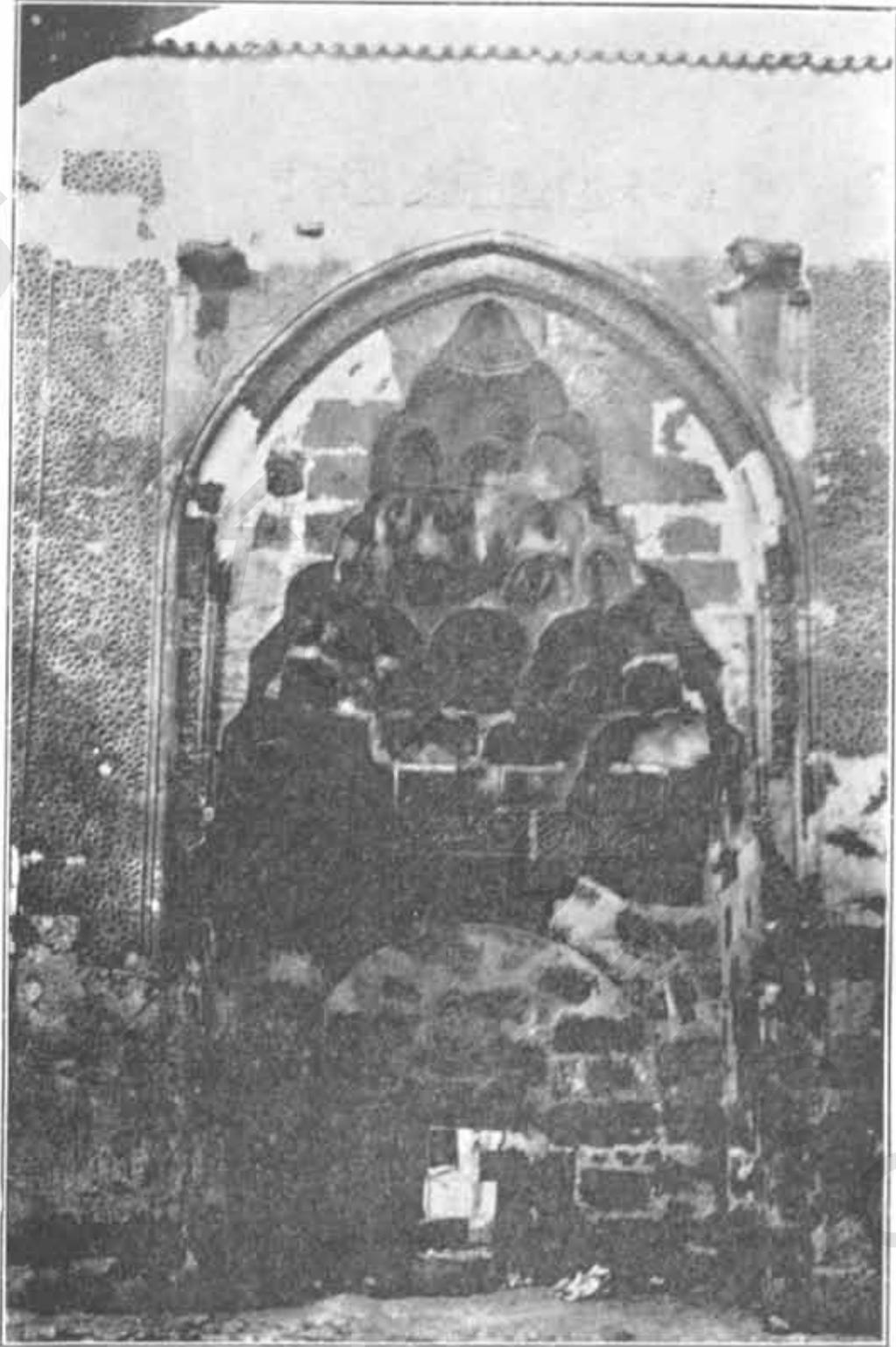
الشهيد الأبي المسيو اوسمين لاورت  
قنصل فرانساً بسواس ثم قنصلها في بنكوك



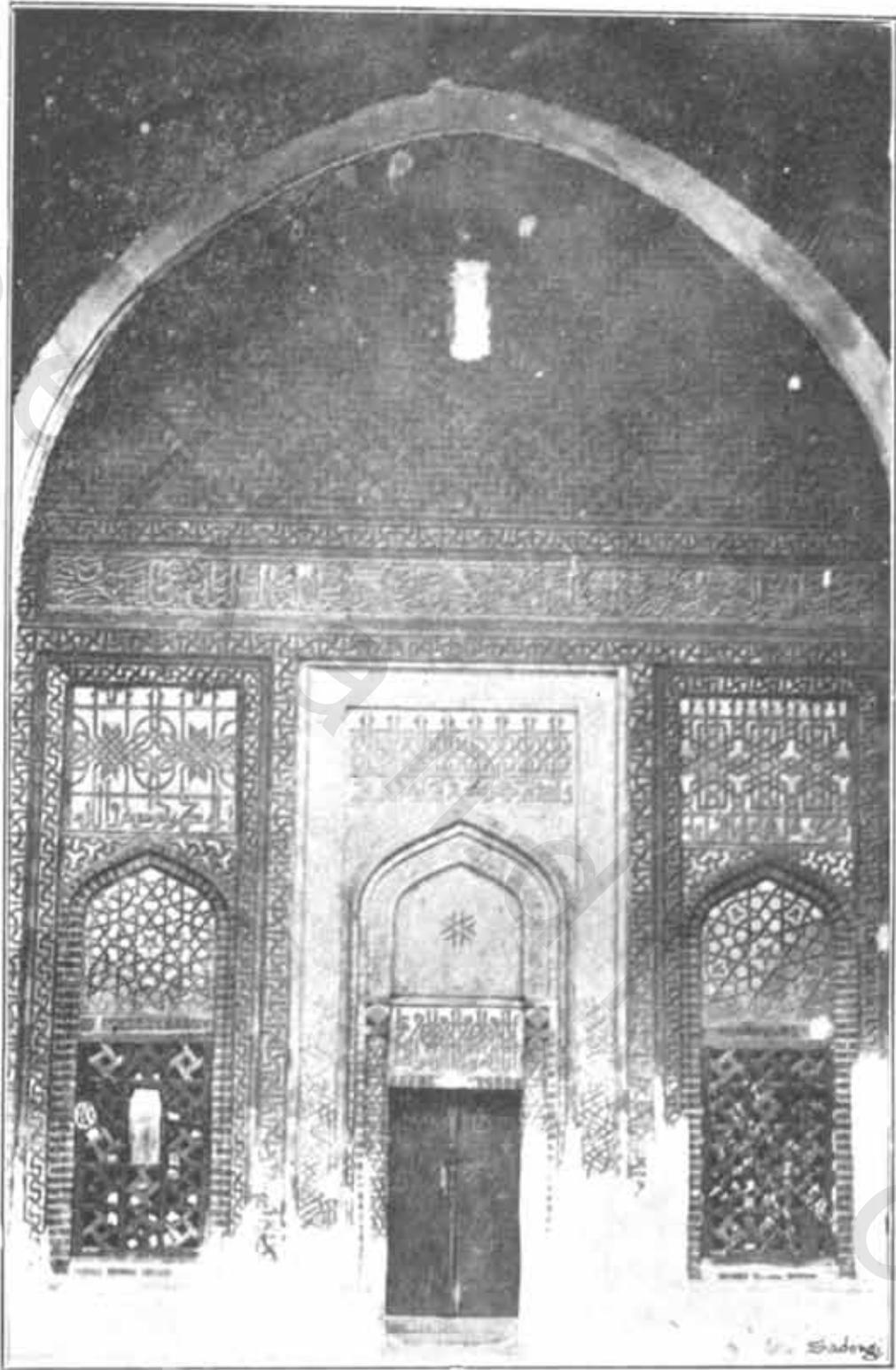
الشهم الحر اسعد رؤوف بك  
مكتوبجي ولاية سيواس ثم متصرف مرسين



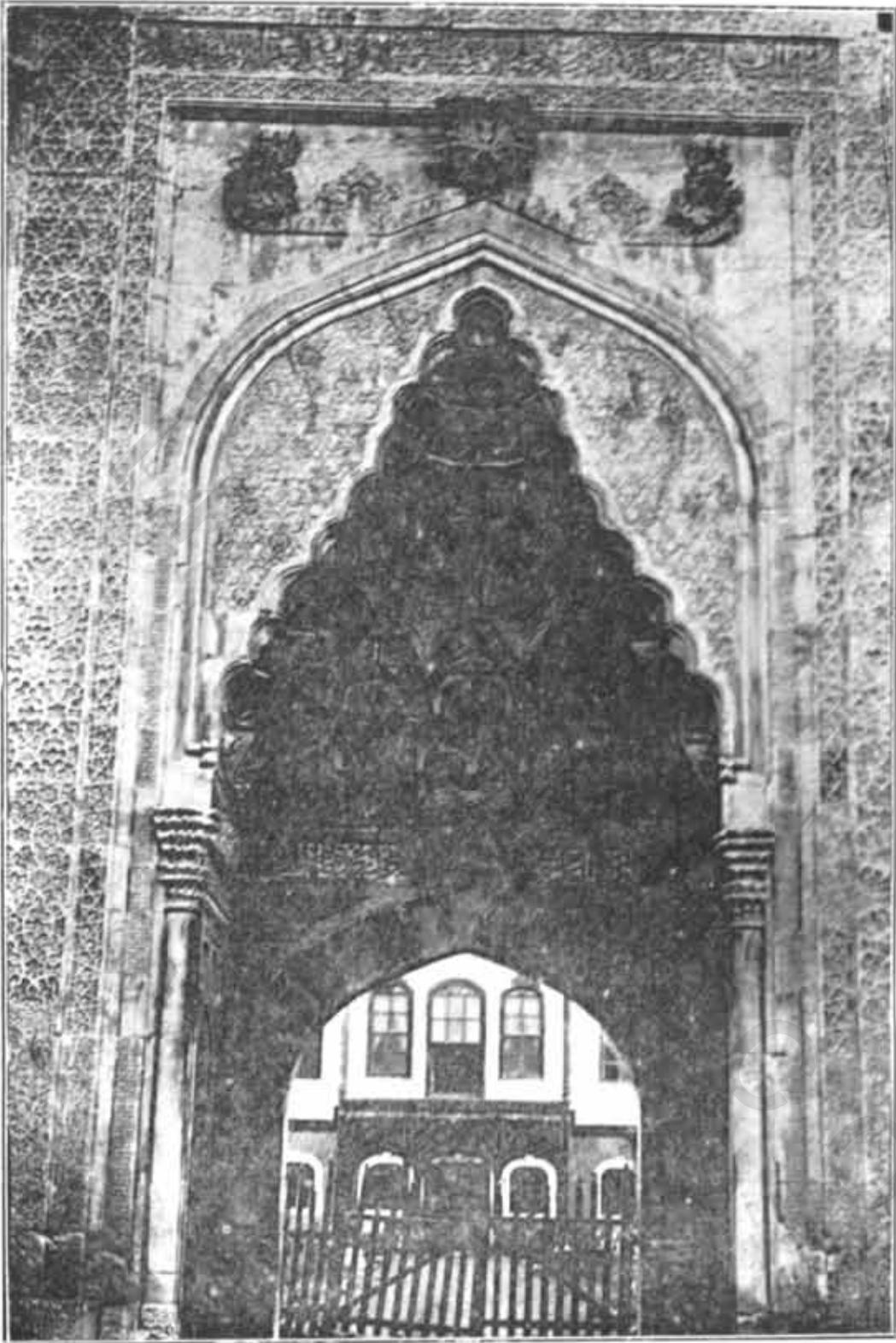
جانب من منظر مدينة سيواس صحيفة ( ٧٧ )



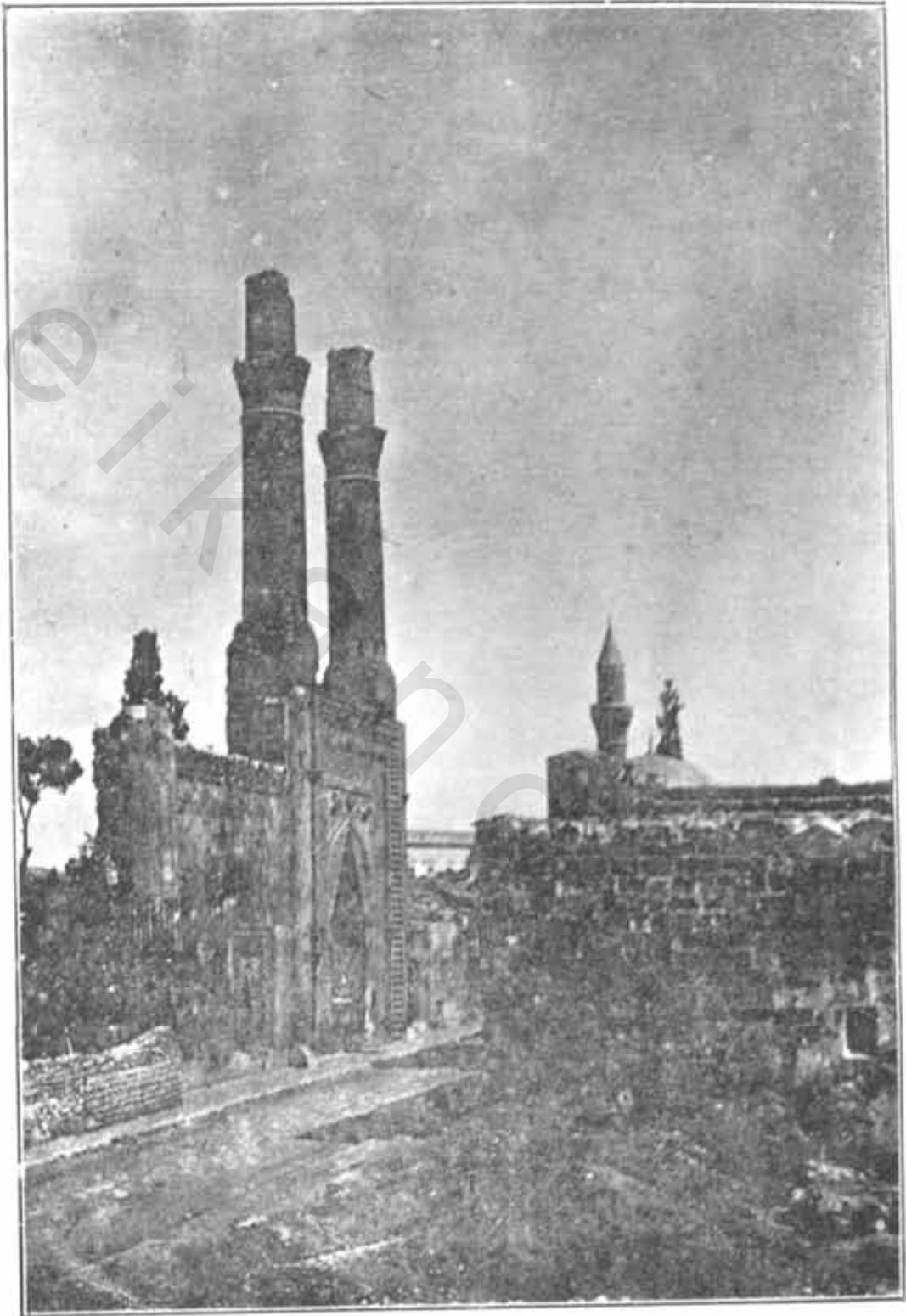
المدرسة المسماة شفاينة صحيفة ( ١١٧ )



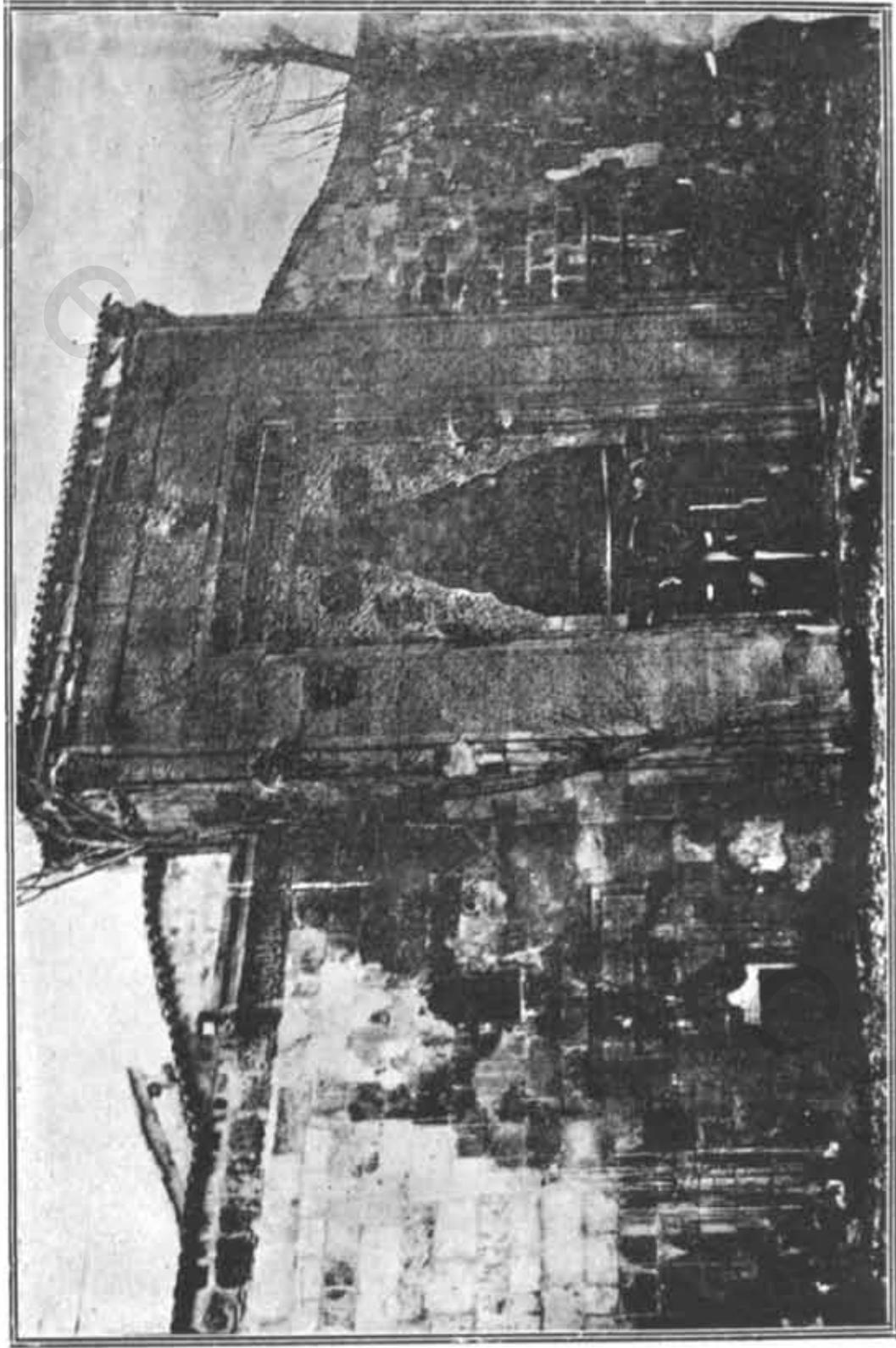
المدرسة الشفائية صحفة (١١٧)



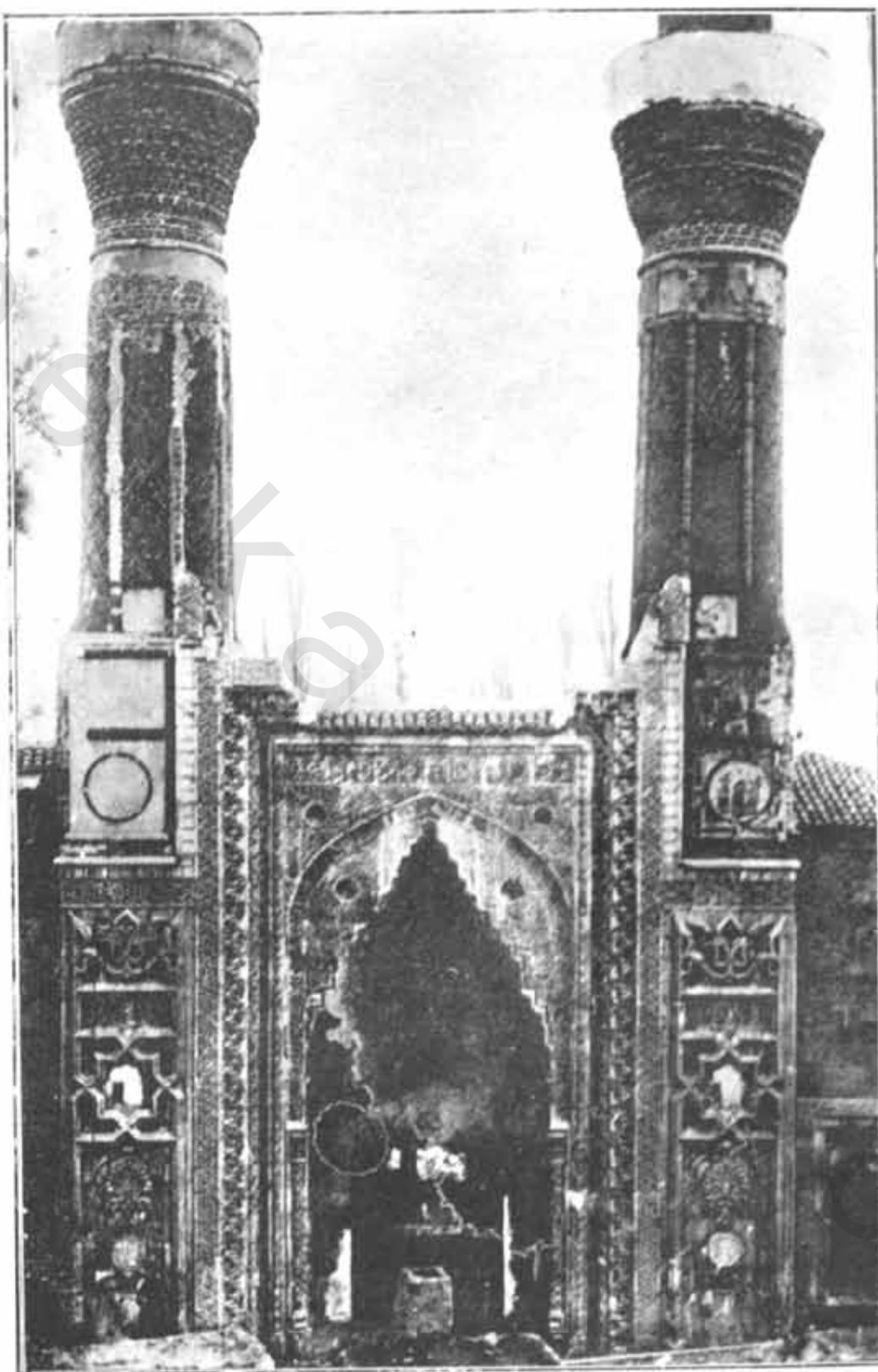
مدخل جامع چفته مناره صحیفه (۱۱۹)



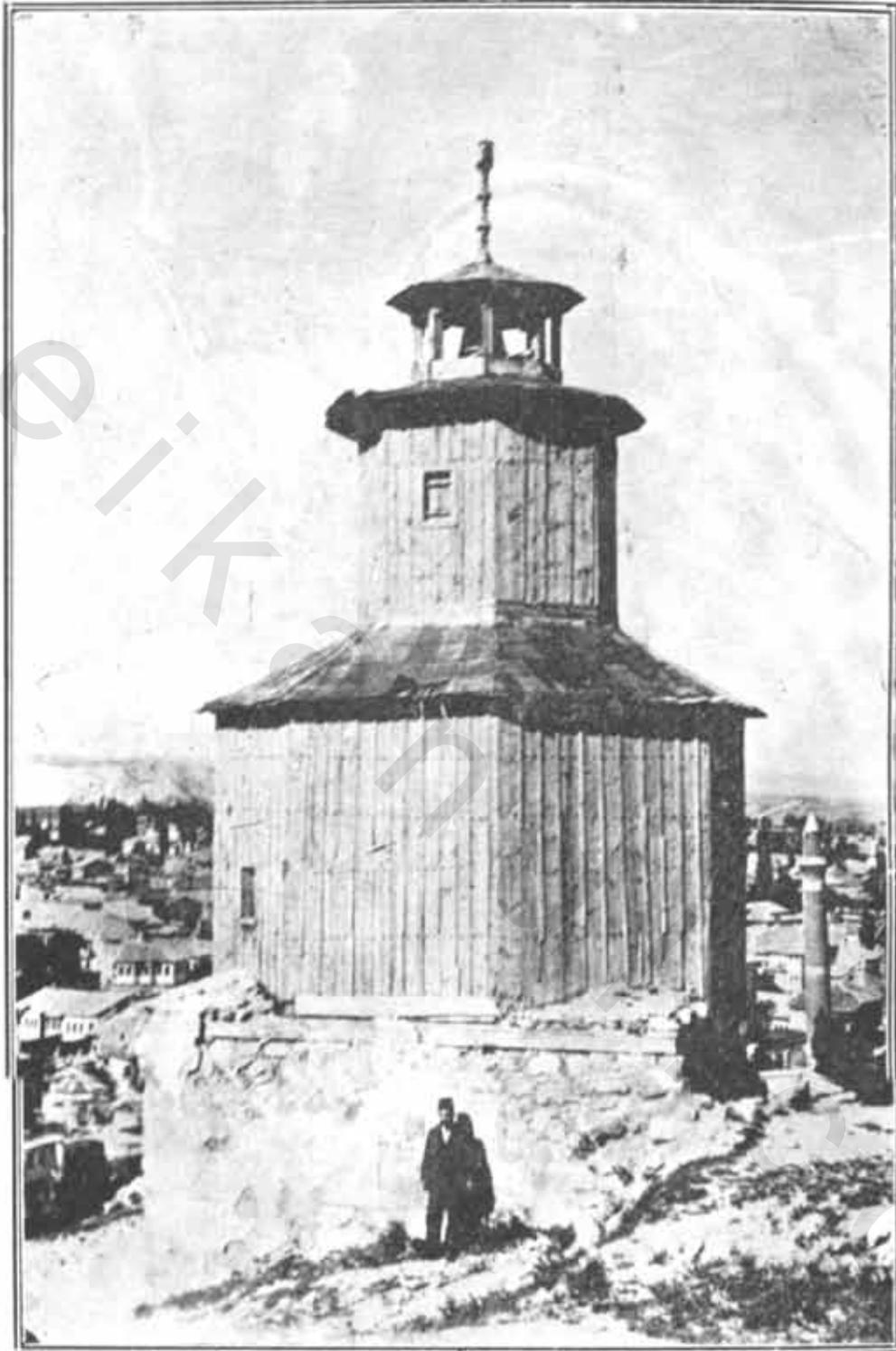
مدرسة جفته مناره صحيفة (١١٩)



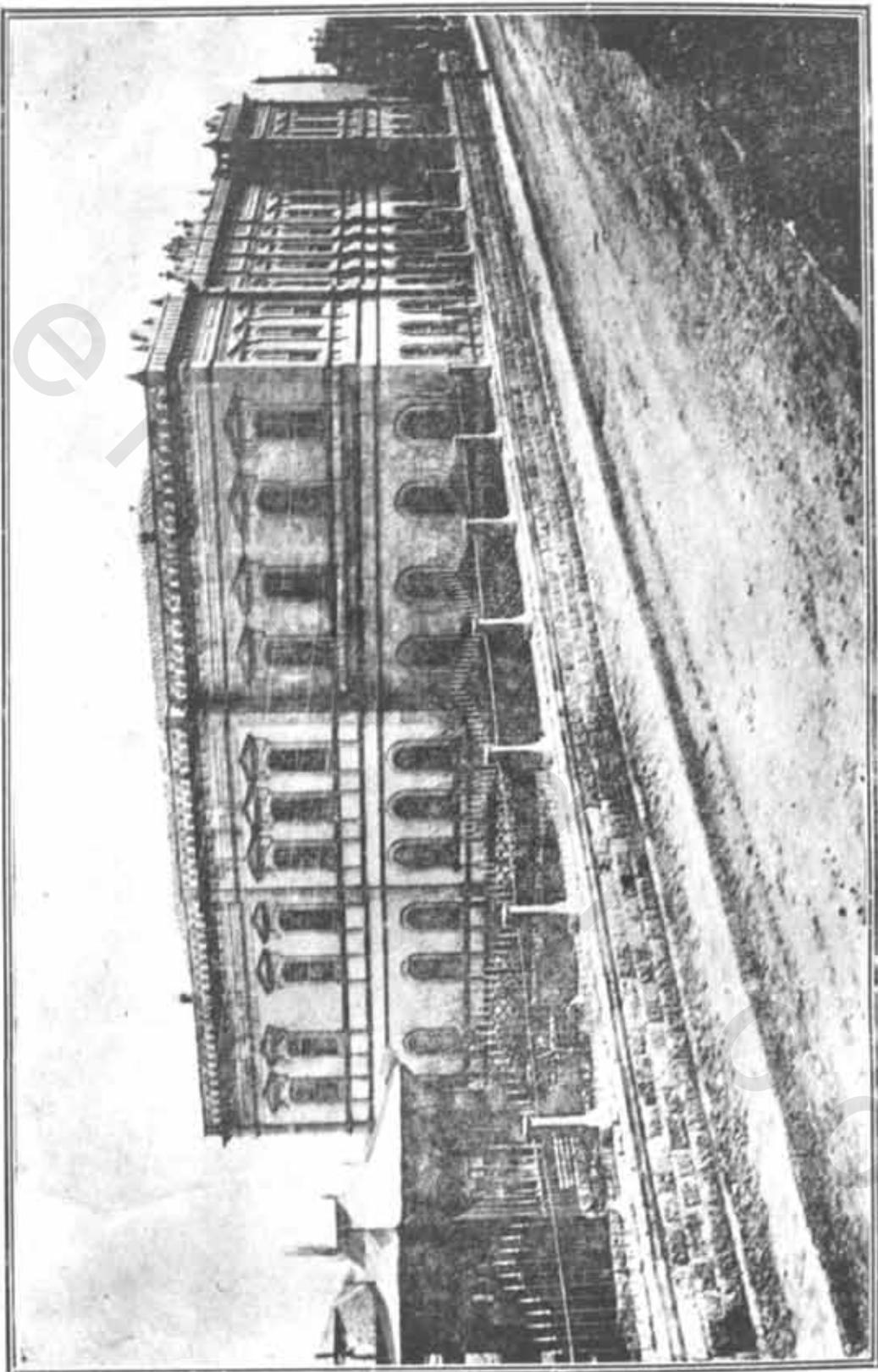
مدرسة البروجية او المقصودية صحيفة (١٢٠)



مدرسة (كوك مدرسة) صحيفة (١٢١)



قلعة سيواس العتيقة



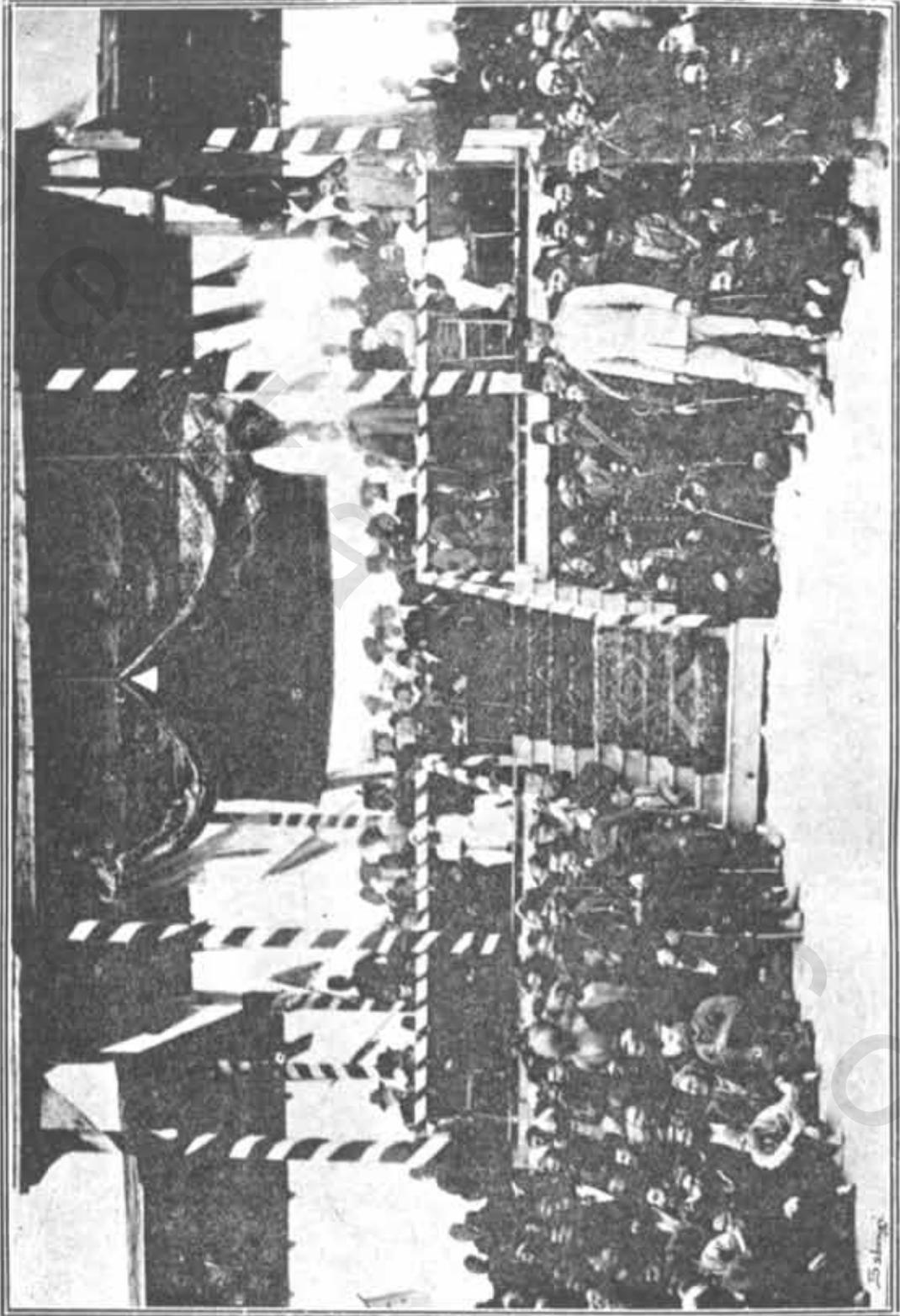
المدرسة الملكية الاعدادية



القبة الكائنة بخارج سيواس



احدى حفلات السباق التي أسسها رشيد عاكف باشا بسيواس  
رشيد باشا في وسط الصف الأول وعلى يمينه المستر جويت قنصل امريكا ثم عقيلته ثم نقيقتها  
وعلى يساره المسيو لايورت قنصل فرنسا ثم آليوز بك حمو السلطان السابق



احدى حفلات السباق التي أسمىها رشيد عاكف باشا بسيواس

عبدالله كبر

# المعلوم والمجهول

بإشراف

ولي الدين بك

سنة ١٣٢٩ - ١٩١١

## مقدمة

قد علم من قرأ الجزء الأول من هذا الكتاب بعض ما كان يقع  
بعاصمة الملك العثماني في عهد حكومة الاستبداد البائدة . وما ذلك بالكل  
ولا بالجل . ان هو الأ مجمل ما عرفته معرفة المشاهد وخبرته خبر المحرب .  
ولم أتعرض لما شاع على ألسن الرواة او ذكر في صحف الأخبار اذ لم آمن  
عليه غلبة الأهواء وكذب الرواية . ولكن أتهمني بعض الخللان بعمل  
الشكوك بمنزلة الحقائق في تسجيل التاريخ وبالليل مع الهوى في مقاضاة  
الرجال . وليس ذلك من الصواب في شيء . وكيف يكون صواباً وأنا  
الذي عانيت صعب مراس الأيام واستهنت فادحات الخطوب وأعرضت  
عن بسمات المعالي لكلمة حق أقولها . ولو تكتمتها لاقتصدت في  
عداوات الرجال

نظر اناس في الجزء الأول من المعلوم والمجهول فرأوا صورة اللورد  
كرومر وقد كتبت تحتها « مصلح مصر » . فألقوا بالكتاب جانباً  
وأطبقوا جفونهم وولوا عنه هار بين . راعهم شخص ذلك الرجل الجليل  
على الورق فأخذتهم سورتهم ولم تقو عيونهم على النظر في وجهه . فكيف  
بهم لو تمثلوا بين يديه ورن صوتهم في آذانهم . وقد زعموا بعد ذلك اني  
صنيعة الرجل والرجل لا علم له بكتابي الى يومنا هذا . وهال بعض الجرائد  
ما في الكتاب فأمسكت عن الكلام فيه . لم تشأ تقر يظة ثقة منها بأن

ستشتمها الصحف التي تشتم اللورد كرومر ولم ترد تقده علماً منها بأن  
سأحجها اذا دعت الى النزال . وراضينا في هذه القضية على السكوت  
يا حرية . ظننت بأن سيكثر المتنافسون فيك فخمت ان ينفسوا علي .  
واذا هم يدعونك ولا يعرفونك . فان أخاف منذ اليوم رقيقاً . أنا عرفتك  
وهمت بك هياماً . فأنا صاحبك من قبل ومن بعد . يريدون ان  
أكتب ما يريدون وأريد ان أكتب ما أريد . اتسعت مسافة  
الخلف بيني وبينهم . الشرق وطني وأنا في الشرق غريب . ولا ضير .  
ان أعرض عن مقالي أهل زماني فغداً يتهافت عليه أبناؤهم . « ما أضيق  
العيش لولا فسحة الأمل »

على انني طويت أشياء كانت ذكرت في الفهرست الذي طبعته  
قبل الكتاب ورضيت ان تتأجج في فؤادي حسراتها وقلت : يا نفس  
ردي موارد الصبر . وما أنا بالجبان في قول الحق غير اني أشفقت على  
القلوب الحرة ان يذنبها حر أنفاسي . وقدأت حالات عجزت عن تحويلها .  
وها أنا اليوم مقرّ بعجزتي ومعترف بذنبي . واذا كانت لي في ذمة الدهر  
أيام رجوت ان أجد السبيل الى زيادة الافصح وأن لا أموت نصف  
حرّ بل ان أموت حرّاً كاملاً

واليوم أن لي ان أنجز الجزء الثاني من المعلوم والمجهول وسيأتي فيه  
ذكر أشياء كثيرة لم يسبقني أحد الى بيانها . فأرجو ممن سيطالعون هذا  
الكتاب من خصومي ان يحكموا فيه ضمائرهم دون أهوائهم وان لا يتعجلوه  
بمدح او ذم قبل إكمال مطالعته .

## كيف نفوني الى سيواس

لو كنت آمل أن سأعيش الى يوم أكتب هذه السطور لحصرت على ما كنت كتبت في أيام شقائي . ولكن غلب علي اليأس واشتدت الضجرة وفات ربما وشى بي واش الى الحاكم الظالم فأؤخذ الى السجن ويؤخذ بنا أكون كتبتة الى النار . فلا انا أستفيد ولا الوطن يستفيد لي عند بعض الناس ثارات انا أهبها اليوم لهم غير مكره . عفا الله عما سلف . ولا آتي في سياق حديثي بذكر أشخاصهم ولا أعرض بشيء مما امتازت به صفاتهم تجاوزاً وصفحاً . فليعذرنى قارىء كتابي فليس المقام مقام انتقام بل هو مقام اعتبار واتعاظ

لما كثرتي جموع المستبدين وهي في إقبال دولتها وقوة سلطانها واشتعال جذوتها وامتداد حكمها وتخاذل عني قوم كنت أعددتهم للعظام رأيت في نفسي ضعفاً عن الاستمرار على الكفاح . أما النكوص على عقبى فلم أرض بعيبه وعاره وأما الاتقياد فدورته الموت وأعذب منه أشد العذاب . فرأيت الراحة في الهدون حتى أجد عدة كافية ودرعاً واقية وسلاحاً ماضياً وأنصاراً أولي حزم ووفاء . فأقمت الليالي والأيام لا أغشى لصديق مجلساً ولا أفشي لأحد سلاماً ولزمت بيتي وانقطعت عن نظارة المعارف . فكان يزورني من الأصدقاء من لا يسوءني محضرهم ومن آمن عواقب الثقة بموداتهم . وظلمت على ما ذكرت بعيداً عن معترك المتناظرين منقطعاً الى أحزاني مكباً على مطالعة الكتب وكتابة الفصول

ونظم الاشعار . فطاب لي الانفراد وآنتست الى وحشة هذا السجن الذي  
اخترته لنفسي ولزم الجواسيس باب داري فجعلوا يتزاحون جيئةً وذهاباً  
وهم لا يظفرون بطائل

فخرجت ذات يوم في حاجة عرضت . فلما كنت في بعض الطريق  
التقيت بصديقي القديم الدكتور ن . . . . . وهو انكليزي الأصل . كان  
جاء الاستانة في أيام الحرب التي هاجت بين دولتنا وبين روسيا في سنة  
١٨٧٧ وكتب في الجندية العثمانية . ولما وضعت الحرب أوزارها خرج من  
الجندية وطابت له الإقامة بالاستانة فلم يفارقها إلا مرات قلائل . وقد تعلم  
اللغة التركية وعرف قراءتها وكان له في اللغة الفرنسية باع طويل وله  
بها كتابات تدل على أخذه بنواصي البيان . فدنا مني هذا الصديق  
ومال بي الى قهوة كانت قريبة منا فدعاني الى الجلوس فجلسنا . ثم جعل  
يصعد في نظره ويصوبه وقد عرته دهشة مما رأى من نحولي فأنكر ما  
شاهد في وجهي من التغير وأخذ يسألني عما أدى بي اليه . فقلت :  
لزمت البيت وانقطعت عن التزهة والاستشفاء بمعتلة النسائم فاحدث في  
طول اللبث وفرط الانكباب على التفكير ما ترى

— وما الذي دعا بك الى هذا الاعتزال ؟

— مللت مغالبة الغاشمين وكلّ عن نضالهم ساعدي فهادتهم حتى  
استعيد قوتي او أجد نصيراً على الحرب  
فتأمل الرجل النطاسي وجهي ملياً وتهد تهداً سمعت له زجلاً في  
صدره ثم قال :

— ألم أقل لك يا ولي الدين انك خاطي في إغضابك أبا الهدى وقد

ظننت بي الظنون يومئذٍ وزعمت اني متشيع له ؟ ومالي والتشيع لأبي  
الهدى وليس له عليّ من سلطان . أنا رجل انكليزي وقصارى ما ينالني  
من غضب عبد الحميد ان يأمر باخراجي من بلاده فأخرج مكرهاً ثم  
أعود مدعواً فيستقبلونني بالعطايا . ولو كنت أُحاول ذلك لنته منذ أمد  
بعيد . وإنما كان لومي خوفاً عليك من كيد رجل لم يثبت على ثقائه منازل  
وعلماً مني بان كل هؤلاء ، الذين في قصر الملك يخافون أبا الهدى على  
أنفسهم ولا يجاهر أحد من أعدائه بحماية عدو يكون أبو الهدى مطارده .  
ولم أقل لك في نصحي : شارك الرجل في مفسده وأعنه على الخيانة وتحبب  
اليه بالكذب والنفاق . بل قلت لك دعهُ وشأنه واحترس من غوايته  
واكف نفسك شر بطشه . والآن ماذا تريد ان تفعل ؟

— سبق السيف العذل . ما أنت باخل بنصح ولا الجد ذاهب بمأمل  
ولا أنا نادم على ما فات . إني فهمت حين قدرت وأمسكت حين عجزت  
وإذا عاودتني المقدرة عاودت العمل

— انت أملك مني لنواصي الكلام وأنا أبصر منك بمواضع الرأي  
فلا تغالب حقايتي بزخارفك واسمع لما ألقى عليك : تقوم من ساعتك  
ماضياً في حاجتك التي خرجت لها من دارك . وسأكون واسطة لأصلاح  
ذات بينك مع أبي الهدى . ولكن إياك ان تنقاد لهواه وتستخدم قلمك  
في أغراضه فتقضي بذلك لباناته حتى اذا حاق بك سوء وقف يضحك  
على عقلك ويسخر من رأيك . وسأزورك في دارك بعد يومين

فمضى صاحبي لشأنه ومضيت لشأني وتم الصلح بيني وبين أبي  
الهدى على يده وزرت أبا الهدى في بيته وزارني بعد ذلك بجله حسن

خالد بك الصيادي . وبعد ان مضت على الصلح أيام توجهت الى منزل  
الصيادي لأنظر ما سيدي لي من ود او عتاب وقد كنا تراضينا على ان  
لا نعيد ذكر ما فات وان لا يكلف أحدنا صاحبه عملاً . فلما ادخل بي  
على الرجل تلقاني بصدر رحب وثغر باسم وأدنى منه مجلسي وأقبل علي بوجهه  
وطيب حديثه وانا لا يطمئن له فؤادي ولا تنبسط له نفسي . وكنت أعلم  
ان أبا الهدي لا يفت فريسة امكنه الدهر منها وانه اشد ما يكون فاتكاً  
اذا ظفرت يدها بمدوله . فاضمرت الحذر وأظهرت الاستسلام فاذا هو  
يميل علي بكلمة وجري يومئذ بيننا حديث طويل واطلعتني على كثير من  
اسراره واقرائني من اوراقه ما لو عرض على عدو غيري لنال بها من  
الثراء ما يبقى لأعقاب اعدائه وحلف لي بالايمان المغلظة انه لا علم لابنه  
حسن خالد بشي ، مما في تلك الاوراق . فأعدتها له وعاهدته ان لا يعلم  
مني احد شيئاً مما اسره الي وها انا اليوم أوفي بعهدي واحفظ له سره .  
ولو عاش في دولته الى يومنا هذا لخاربتة حرب المستميت ولكن غير  
مغالبة بأسراره . وقد أيقنت بعدها ان الرجل جرى معي على غير  
شيمته وانه لا يضمري غدرأ . فأمنت غوائله واسترحت من طول الحذر  
ولو كانت أبو الهدي غير خائن لدواتي لحرصت على وده ولأقمت على  
مناصرتة ما بقيت لي في الحياة بقية

على انني ما صالحت أبا الهدي اذ صالحته الا لأكفي طول مناصلته  
وأفرج عن وجهي ما كان يمنعني عن الفرار والخلاص مما كنت فيه .  
وأما وقد تهيأ لي ما أردت فلم يبق الا تشمري وشد رحالي . وبيننا أنا في  
نقض وإبرام اذ دخل علينا شهر رمضان . فحمدت قدوم الصيام ورأيت

في شغله المشاغل للناس ما يعمي أبصارهم عما أتاهب له . واقت استنجز  
الفرص . واني لني داري مشغول بما ذكرت واذارسول ابي الهدي يتعجل  
مضي اليه . قلت ما أتى السيد حتى أنفذك الي ؟ قال لا أدري ولكنه  
اخبرني انه سيكون على انتظارك بعد الافطار . قلت بلغه اني قادم عليه .  
ولما ولى الرسول أتجزت ما كان بيدي من اعماله وما أزف الوقت الا  
واكثرت عربة وبادرت الى موعدتي . فلتقاني حسن خالد في طريقة  
الدار وسألته عما دعيت لأجله فأبدي تجاهلاً حسن عنده سكوتي . ثم  
أدخلت عند ابي الهدي . فاستقباني قائماً ولم أر على وجهه بشاشته التي  
عودنيها ولا بدت على ثغره بسماها تلك التي خدعت الماكرين . ولكنني  
رأيت في حاله من الوجع ما كاد يستخف بحلمي . فأمسك بيدي وجعل  
يتأمل وجهي وانا مستمسك بنفسي موطد قدمي ولا أدري ما نهاية ذلك  
كله . فأخذ يسكن روعه قليلاً قليلاً وثابت اليه أناته وراجعته وقاره  
فأشار الي أن اجلس وجلس هو بمكانه . ثم قال :

— اني لني قلق عليك منذ البارحة

— وكيف ذلك ؟

— سمعت ان الشرطة دخلت بيتك وأخذت كتبك وأوراقك  
وانك قضيت ليلتك في دار الضابطة . فبت لا أدري ما أصنع ولا  
كيف استخبر صحة الخبر . فما أصبحت الا وأنفذت رسولي اليك . ولما  
رجع واخبرني انه رآك بمنزلك خف عني بعض ما كان حل بي من الجزع .  
ثم خبرت ان القوم أخذوا ما وجدوا عندك من كتب وأوراق ولم  
يتعرضوا لك بسوء . فقص علي الآن كيف كان ذلك ومن هذا الذي

وشى بك ولم يعلم ان وراءك أباً لا يكلك الى من يجهل عليك  
- سيدي . لم يحدث شيء مما تذكره . اني لأحس بشر ولا أتبينه .  
وقد بثوا عليّ العيون واذكوا الارصاد وما أدري ما رابهم من أمري  
- اذا لم يصح ما ذكر لي فذلك فضل من الله . ولكنني اوصيك  
بنفسك خيراً . افتح عينيك يا ولي الدين ولا تدع لأعدائك سبيلاً  
اليك . ومهما يكن عندك من كتاب او ورقة مما يحجج به الخصوم  
خصومهم فزقه ولا تحف بعد ذلك واشياً ولا تبال رقيباً . واذا مسك  
الضر من مكيدة عدو فبادر اليّ لا مترثاً ولا متغافلاً . فهمت ان اخبره  
بما عزمت عليه من الهجرة ولكنني امسكت مخافة ان تكون الفتنة فتنه .  
ثم استأذنته في الانصراف فأذن لي وودعته وخرجت من عنده لا ألوي  
علي شيء . فما ادركت منزلي إلا عمدت الى كتبي واوراقي . فاخذت  
اتفقدها واستخرج منها ما لا يلائم هوى القوم . وكان عندي من كتب  
أحرارنا وجرائدهم شيء كثير . جاءني بعضه على يد بعض اصحابي من  
الاجانب واحضرت بعضه والذي حين قدمت عليّ من مصر . فجعلت  
أمزق هذه المذخورات الغوالي تفادياً بها من ليل لم أعلم انه لا محالة  
مدركي . وملت بعد ذلك على أوراقي . تفقدتها ورقة ورقة . وانا كلما اجد  
شيئاً يستراب منه أمزقه وألحقه بغيره . ولم أزل كذلك في نظر وتنقيب  
حتى آذن لي لي بالبلج . فاخذت تلك الممزقات وألقيت بها في النار . وما  
استقل بها اللهب إلا وأنا كالأيب من احتطاب في الجبل أو كالخارج  
من غمرات الوغى . وكان لي بحجرة والدي صندوق فيه أوراق وجرائد  
وصور نسيتها كلها ولم أتهددها منذ قدومي الاستانة . وقد فاتني ان

بذلك الصندوق ما يستطير الشرر من عيني عبد الحميد . ولكم حاول أهل بيتي ان يحملوني على فتحه واحراق ما يكون فيه من أشباهه ونظائره فلم ألق للنصح بالاً

وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر ديسمبر الكائن في سنة ١٩٠١ جاء امرأتي المخاض . وما قاربت الشمس الغروب إلأ وقد وضعت بنتاً سميتها فكتوريا . تلقيناها يدسات وتلقتنا بصيحات . وكأن المسكينة أحست بدنو النكبة من أبيها فأجهشت لرؤيته بالبكاء . فقلت إذ رأيتها في مهدها ما كان أسعدني بك يا بنيتي لو كنت في مأمن من طوارق الحدثان . وما بي ان أغرق في اليم أو ان اظل في ظلمات السجون . ولكن من لأملك وأخيك وجدتك من بعدي . وقد أظلم عبد الحميد بسطان نغمته والناس يفرون من الحر وأهله كما يفرون من المجدوم

ومما زادني حزناً وأوسعني خيلاً قعود الحظ بي عن الفرار . وكيف كان يتهاى لي ذلك وقد باتت عندي نفساء لا تقدر ان تخطو في حجرتها وطفلان كبيرهما لا يحبو وصغيرهما رضيع ووالدة ان أتركها اتركها للافافة والامتهان . هذا وحول داري من الجواسيس طائفة لا تهجع الليل ولا تغدو النهار . قائمة على بابي تحصي أنفاسي وتراقب كل حالاتي

فلما كان اليوم الثاني من شهر يناير في سنة ١٩٠٢ جلست في حجرتي وجعلت أممي ورقاً وأقلاماً وأنشأت اكتب فصلاً كان خطر ببالي . وقد أمسيت وأوقدت حولي المصابيح وأنا مستغرق في شغلي لا استشعر شيئاً من ذلك . فدخلت علي الخادمة تخبرني ان بأسفل الدار زائر ين يريدان ان يرياني وان وراءهما جماعة من رجال البوليس وقوفاً على باب

الدار . قلت : لا ضير . أدخلي الضيفين الى مجلس الضيوف . أما البوليس فيكونون أتوا من الشكنة المجاورة للبيت ليدلا عليه الطارقين . هنالك خرجت الخادمة وأنا رفعت ما كان امامي من ورق وغيره . ثم دخلت على الضيفين . فاذا هما لا يسر مرآهما ولا يشر قدومهما . رجلان من أعوان النعمة وجنود العذاب . أعرفهما من وجهيهما اللذين بحا الله تعالى منهما آية الأنس وأجال في أديعهما صيباً غساقاً وأسكن نفسيهما من السوء ما يكون معواناً لهما على أكل لحوم الناس وشرب دماءهم . أعوذ بالله من مثل تلك الوجوه . الضيفان الطارقان أحدهما محمد علي بك الذي كان رئيس الهيئة التحقيقية بنظارة الضابطة وثانيهما إسماعيل حقي افندي الذي كان مفتش البوليس في متصرفية ( غلطة سراي ) . تلقيتهما بما يتلقى به الزائر غير المعروف وناولتهما السيكارات وأسقيتهما القهوة وهما في محادثتهما لي يقلبان اوراقاً وجرائد كانت على خوان قائم في وسط القاعة . وقد أحس قلمي أن وراء هذه الزيارة ما لا أحب . فأبدت التغابي وآثرت الصمت حتى إذا فرغنا مما يكرم به الضيف التفت نحوي محمد علي بك وقال :

— شفيق باشا ناظر الضابطة يقرئك السلام ويقول لك ان السلطان أمره بتفتيش أوراقك وأخذ ما كان مخالفاً لرضائه منها . والباشا يعلم أنك لا تدخر شيئاً يغضب مولانا الأعظم . ولكن لا بد من الطاعة والجري على مشيئته . وهما نحن عندك نرجي إيدناك في التفتيش

إسماعيل حقي افندي — أترى ولي الدين بك يشك في محبة الباشا له وإيثاره أياه على كل عزيز عنده . ما أظنه مانعنا عن خدمة يعلم أننا

مكرهان عليها . ولو خيرنا فيها لما اختار أحدنا أن يجرمه راحته ويكدر عليه صفاءه . قلت :

- لا بأس عليكما . لكما ما سألتما ولي اليكما رجاء فأعيناني على  
أكذوبة تنفعني ولا تضركما  
- ما هي ؟

- سأقول لامراتي أن ناظر الضابطة محب لي . وأنه اتصل به أن  
سيفتش البوليس بيتي في هذه الأيام . فأرسلكما اليّ لتأخذاه ما يكون  
عندي من الكتب والأوراق فيخفيها عنده ويعيدها اليّ بعد انقضاء  
تلك المحنة

- لك ما سألت

هنالك دخلت على امرأتي وخاطبتها على ما توافقنا عليه . فلم تنفع  
الحيلة وفطنت لها ولكنها تجادرت تجلداً لا تقوى عليه السيدات وقعدت  
في فراشها وقالت أدخلهما . فدخل الرجلان وأمالا رأسيهما سلاماً . فلم  
ترد سلامهما . ثم أوغلا في التفتيش فما أشكل عليهما فهم كتاب أو جريدة  
أو ورقة إلا أخذاهما . ولما تدانبا من الصناديق التي بها ملابس سيدة  
البيت أعرضنا عنها ولم يعد أحدهما اليها يداً . وقد وقع نظرهما على مسدس  
لي كان على خوان هناك فأخذه أيضاً . ثم دخلا حجرة والدتي وطلبا  
أن ينظرا الصندوق الذي كان فيها . قلت هذا صندوق فيه ثياب والدتي .  
قالا كلا . ليس الصندوق صندوق ثياب ولا بد من أن نراه . فتركتهما  
وشأنهما وقد وجدا به كل شيء . . . . . تلك أوراق وكتب وصور منها  
ما كتبه الأحرار ومنها ما كتبه أنا . ووجدا صورة عبد الحميد الفطرفاية

في أوائل أيام ملكه وصورة السلطان مراد الخامس الذي قضى شهيد  
السجن بجران وغير ذلك مما يطول شرحه ويهول الخائزين ذكره  
فلما وقع نظر الرجلين على هذه الأوراق لمت أعينهما وأقترت  
نواجزهما سروراً . وكان محمد علي أخبث الرجلين . فجعل يقلب الأوراق  
بين يديه ويهز رأسه كمن هاله أمر عظيم . فقلت في نفسي ماله يعطو كما  
يعطو حمار الوحش وما لهذه الرأس تدور بين كتفيه وكأن تحتها لولباً  
يديرها . فالتفت نحوي وقال :

- وجدنا عندك أكثر مما أمنا

فلم أجابه بكلمة . ثم استخرج صاحبه من الصندوق كيساً صغيراً  
كانت به أوراق بخط والدي المرحوم وصكوك وعقود وغيرها . فحاولت  
استرجاع الكيس غير أنني لم أفجح . واذ فرغ كلاهما من جمع الورق جعل  
ما أخذهما في كيس كبير وختمها عليه بالشمع الأحمر وختمت كذلك معهما  
واحتملا حملهما وودعائي ذاهبين . ثم حين عاودت حجرة امرأتي وجدتها  
تنتفض إنتفاض العصفور في ليلة قرم مطرة حتى لم أشك ان ستقضي  
بين يدي . فصحت بوالدي لتعيني على مساعفة تلك المسكينة بشئ من  
الدواء واذا هي لا تقدر ان تنهض من مكانها . فادركتني الخادمة وأخذت  
تعالج معي المرأتين حتى هدأ روعهما وسكنت الرعدة في جسديهما ولكن  
بعد ان كادت الروح تزهرق . ولما اطمأن عليهما فوآدي خرجت الى  
بيت الجنرال احمد جلال الدين . فرأيت هناك مراداً الداغستاني ولم يكن  
يمر فني وجهاً . وعلمت ان الجنرال مريض وانه لم يقابل أحداً في يومه .  
فاخبرت وكيله بما كان من دخول الرجلين بيتي واخذهما اوراقى وأظهرت

له ما يت أوقعه من الخطر . وكان الداغستاني يصغى لحديثنا وسمع  
الوكيل ينطق باسمي . فعرفني وتذكر ما كان بيني وبينه من شر  
فتركني حتى أتممت حديثي . فالتفت الى وكيل الجنرال واسمه رشيد بك  
وهو رجل عاقل . كامل التهذيب . فقال له مراد :

— أهذا ولي الدين بك يكن

— نعم هو من تراه

فنهض مراد واقفاً وجعل يمدق في بصره حتى لظننت ان الرجل  
قد جن . ومشى خطوات الى ان صار أمامي . فكلمني قائلاً :

— ما كنت أحسبني أحيأ الى زمن تشكو أنت فيه هذه الشكاية

— وما يريك من شكائتي ؟

— يريني منها انها شكاية رجل حر يصيح بها رجل مستبد

— ما رأيت من استبدادي ؟

— منازلتك لي أيام كنت اصدر جريدتي ( ميزان ) بوادي النيل

ووقوفك في وجهي ودفاعك عن تشكو ظامه اليوم . هذا الذي كنا

نشكوه قبلك وكنت أنت تكذبنا فيه وتطر علينا صواعقك . وجريدة

النيل شاهدة عليك . واني لأعرف لك فضلاً حدثت به كل من لقيته

ايام تلك المصاومات . وذلك انك مظفر الحجة شديد الوطأة عزيز مادة

الكلام . واقد قلت لهم انك للخصم يقذع خصمه ولكن يهذب

وكنت أوصي من معي بترك مغاضبتك والتعرض لقارعائك

— اما ما ذكرت من منازلتي لك فما كان ذلك مكابرة في الحق ولكن

كرهاً مني ان أراك زعيماً للاحرار . اني ذكرت في أول كلامي عنك اني

تاركك حتى أسبرغورك وأستبين نفسك من خلال كلامك . فسقطت  
سقطه بغضتلك الى فؤادي وتخذتلك بعدها عدواً لوطني وعرفتلك لنفسي  
عدواً لدوداً . وان ترجع اليوم زعيماً على الأحرار أرجع عدواً لهم . لن  
تجمعني وياك وحدة حال ولو كانت في سبيل الوطن . واعلم اني أمرؤ لا  
أثق بعلمي ولكني اثق بيراغي ونفسي . وما دام لي نفس يتردد بين جوانحي  
فذلك عزمي الذي أنازل به الصروف وأجاهد به في تأييد ما أعلم انه الحق .  
ولندع هذا الى لقاء آخر فاني منذ ليلتنا ممن هدرت دماؤهم . وكان كلامي  
لمراد آخر ما تحدثت به في بيت الجنرال أحمد جلال الدين . وأيقنت ان  
لا فائدة من بقائي هناك فودعت القوم وصرت الى ادارة التلغراف  
الكائنة في ييرا ( بك أوعلي ) . فكتبت رسالة برقية نسخت منها صوراً  
عدة خصصت كل صورة رجل من عظماء الرجال . منهم كوچك سعيد  
باشا وكان ولي الصدارة اذ ذاك . وممدوح ناظر الداخلية وعزت العابد  
وتحسين الباشكاتب . وكانت ادارة التلغراف تقبل كل رسالة إذا كان  
صاحبها معروفاً ولو كانت تلك الرسالة تسوء عبد الحميد . ولكنها امتنعت  
عن قبول رسالتي . زاعمة ان قد جاءها أمر بأن لا تقبل رسائل الا اذا  
كانت موجهة الى السلطان وأن يكتب عليها هكذا : ( الى الأعتاب  
العليا ) . فرضيت بما اشترطه . وأمور التلغراف مكرهاً . وهاك فحوى  
رسالتي :

« دخل رجال الضابط الليلة بيتي وأخذوا أوراقى وكتبي وملأوا  
قلوب من بالبيت فزعاً . وإنما يصنع مثل هذا باللصوص وأهل الجنائيات  
لا بمن اختارتهم الدولة لخدمتها ورفعت مراتبهم في حكومتها . وهانا

اليوم أنظّم لصاحب هذه البلاد وأسأله انصافي وان يصدر امره بمحاكمتي  
لأنال براءتي مما وصمت به او يلحقني جزائي »

ولما فرغت من الرسالة ودفعتها للمأور رجعت الى البيت . فما  
اغتمض لي جنن ولا استقرّ لي جنب وقاسيت ليلة لا تكشف أهاويلها  
ولا تنجاب ظلماؤها الى ان نصل صبغها ورقت حواشيتها . فهدات إليّ  
سنة في طيات نسائم السحر تحظر على ايقاع الطير في وكناتها . فلت  
على وسادة الى جانبي وحيل بيني وبين الشهود . ثم ما لبثت ان نهني  
بكاء بنتي في مهدها . قلت تعلمي البكاء ايها المسكينة . اني لأرى أمامك  
اياماً تبكين فيها على ابيك اما شهيداً واما أسيراً . وما تكامل الصباح  
في ضيائه الاّ اقبلت امي وامراتي تبكيان الى جانبي . فتهيتهما عن البكاء  
وقلت اصبراً . لعل لنا في جوانب هذا المأزق منفرجاً . وأخذت امرأتي  
تنصح لي بالسفر قبل ان يتعاضم الأمر . وقالت نحن امرأتان ولا يلحق  
بنا من الحكومة أذى ولا نلبث ان نلحق بك اذا بلغت مأمناك . قلت :  
وكيف السبيل الى ذلك ؟ هذه دارنا أقامت على جوانبها الأرصاد وان  
بالباب لقوماً ألفت السهاد محاجرهم لا يفارقون مصراعيه قيد شبر وما  
مشيت في الطريق الاّ رأيت ورائي قوماً يطلبوتي بأوجهم الكاسفة  
وأعينهم الخائنة يلازموني ملازمة الظل حتى لأتني ان تخسف بي الأرض  
فأتواري عن أبصارهم . ثم هي اني أحكمت الحيلة ودانت لي فجاج  
الأرض وصرت الى حيث لا يطول اليّ باع الظالم المطارد فما الحيلة في  
سفرك مع امي وهذين الطفلين ؟ تظلمون وليس عندكم من يعولكم ولا  
تدعمكم الحكومة حتى تلحقوا بي وتمنع عنكم ما أبعث به اليكم من المال

ولا ألبث ان أعود صاعراً فتكون العودة الثانية شراً من الأولى

- وماذا تريد ان تصنع ؟

- سأنظر في أمري . عسى ان أهتدي الى ما فيه خلاصنا

هذا وعد وعدت به من عندي وانا غير واثق بإنجازه . ولما كان

المساء مضيت الى أبي الهدى . فلما رأي صاح بي : ما وراءك ؟ قلت :

- ورأيت ما يسوء كل صديق ويسر كل عدو

- وما ذلك ؟

فقصصت عليه القصة لم ادع منها حرفاً الا ذكرته . فأطرق يفكر

وبدت على وجهه كآبة استكبرتها في نفسي . ثم رفع طرفه الي وقال :

- وهل وجدوا عندك الكتاب ؟

يريد كتاباً كنت أخبرته أنني وضعتُه وسميته (العصر الجديد) .

أتيت فيه على بعض الوقائع التي جرت بين مصر وفروق ولكني لم

أعرض فيه لعبد الحميد بسوء . وهذا كتاب كنت أنفذه الى مصر

ليطبع فيها . ولكنه تلاعبت به الأيدي ولم يسمع له ذكر . قلت :

- يا سيدي جرت عادتي ان اكتب من غير تسويد . وذلك أنني

أنقل سأنحائي في اباناتها واقتصد من الزمان بقدر ما أستطيع

- اوه . لقد اخطأت الصواب . وددت لو عثر الرجالان عندك على

تسويد هذا الكتاب فنفوز يوماً فوزاً عظيماً . يا ليتني علمت ذلك من قبل .

ثم صاح يا غلام . فدخل خادماً . فقال : علي بحسن خالد الساعة . فما غاب

الخادم الا عاد ومعه ابن أبي الهدى . فأقبل حتى جلس الى جانبي وكان أبوه

مطرقاً ويمينه تعبت بلحيته . فانتبه على سعادة سعلها ابنه ليعامه بمكانه وقال :

- جئت يا حسن ؟

- ممتثلاً لأمرك يا مولاي

فاخذ أبو الهدي يقص على ابنه ما سمع مني . فساءتمة إلا ابتدره  
ابنه مستعلماً :

- والكتاب ؟

- أخبرني البك انهم لم يجدوه واعتذر لي بأنه لم يعود تسويد  
ما يكتب

- قضي الأمر ولا حيلة في تلافي ما فات

وإذا لم يكن من الجلد بد أقبل علي الرجلان يعزيتني وقال أبو الهدي :  
لا تخف لن يبلغ الشر بنا غايته وان في الكنانة لسهاماً أعدتها الأيام  
المحجلة . فكن بمكانك من النجدة لا تذهب بدماء قلبك هذه العظام  
وسأيت الليلة تديراً يتحده الفوز وتسير على اثره الرغائب . فشكرت  
للرجل دعواه ونهضت راجعاً الى منزلي . فبلغته وقد كاد يتمزق صدر الليل  
عن ترائب الصباح . واذا الجواسيس يتهادون في الطريق . فجاوزتهم الى  
الباب حتى اذا بلغت أعالي السلم تالقنتي والدتي لائحة معنفة وقالت :

- اي بني ما أبطأ بك الى الساعة ؟ واقد تركتني وامراتك على  
مثل جمر الغضا . فأجبت لها الرد وتمهدت امرأتني فرأيت منها ما راغني .  
وجهاً تعالاه الوجل وجوانح تملك عليها الرعب وقد تمشى السقم في جسدها  
حتى لا ينقطع لها أزين . فجعلت أهون عليها الأمر واقول كانت أزمة ثم  
انفجرت وانها لغير معاودتنا من بعد . وما زلت بها حتى خف وقرها  
وهدأت لوعتها فنامت

ان في اليأس لسكوناً تجده نفس المكروب اذا بلغت الأمور  
أقصىها . واني لأشهد بصدق ذلك وهذه تجربة ثانية ذقت فيها موة العزم  
بعد ما كان بيني وبين أبي حية . ومتى استشعر المجاهد ضياع المساعي  
وأيقن بخيبة الأمل ثابت اليه راحة السكون وهي آخر اعياء يجده المجهود .  
رأيتني في منزل نام أهله مغلوبين وليس حولي من أفضي اليه بحاجات  
نفسي . وكنت أريد صديقاً جليلاً مستحكماً رباط الجأش رحب الصدر  
مكين فرار الصبر أحدثه بما يحدثني به فؤادي . ولكن من لي بذلك وقد  
تخاذل عني اخوان الصفاء وولوا كأنهم النعائم المحفلة وأضحى لا يزورني  
إلا الرجل الفاضل والصديق الأوفى مصطفى بك المخزومي والعالم المرحوم  
محمد صديق خان الحسيني وكلاهما من أعضاء مجلس المعارف اذ ذاك ثم  
كلاهما ينتمي الى بيت رفيع من بيوتات المجد . أولهما عربي وثانيهما  
هندي وحسبك دلالة على طيب العنصر . وما فرغت من هواجسي إلا  
وقد غشيني الكرى . فما اتببت إلا قرب الظهر . وصرت أجدني واهي  
الغزيمة خامد جذوة الشباب . فجعلت أتمثل بيت كثير

قللت لها يا عز كل مصيبة اذا واطنت يوماً لها النفس ذلت  
وبعد هذا كله اعترضني معضل أشكل عليّ استخراج غامضه  
واستنتاج الصواب من ثنيات شكوكه وذلك أمر أبي الهدى . قلت ان  
كان الرجل أسر عني بغضه وأضمر لي انتقامه فما حمله على افضائه اليّ  
باسرار يضارب الرجال دونها بالسيوف ؟ وان كان مخلصاً لي في وده  
مستصفاً سريره فما هذا اللب الذي أراه . من اين جاء أبا الهدى ان  
ستدخل الشرطة داري وان ستأخذ أوراقى حتى أعلمني بذلك قبل وقوعه ؟

وما لبثت في استطلاع هذا السر طويلاً زمن بل قبض لي الله من أظفني  
على مكنونه وأسرّ اليّ نجواه وسيأتي بيانه في موضعه

ولا غنية عن ذكر ما كان بيني وبين القصر الحميدي . فعنه يتساءل  
القراء الكرام . واجماله ان الباشكاتب تحسیناً كان وجه اليّ بعض حاشيته  
يستدعيني اليّ ( يلدو ) . فتمصت اليه قبل مضي اليّ أبي الهدي . وكانت  
هذه أول زورة زرتها لهذا الخائن المائن بعد ان استمرت يتنا نيران  
العداوة . فما أخير بمكاني إلا أمر بادخالي عليه . فلما رأي تبسم لي تبسامة  
الختال ولم يمهلي ان أسأله عما ندبني اليه بل تعجلني بقوله : كرهت ان أطيل  
انتظارك . وقصاري مالك عندي ان مولانا السلطان يأمر باحضار  
أوراقك من عند شفيق باشا ليكون فخصها واستطلاع ما فيها هنا بمراي  
منك ومسمع . غير ان الأوراق لم تنفذ الينا والرأي ان تحضر غدأ في هذه  
الساعة . قلت : لك ذلك وخرجت غير مسلم . ثم اقتضيت في الغد فاعتذر  
وقال ان الأوراق تأخرت عنه . فخرجت وانا أقول : جعل الله عليك  
سافلک أيها القصر وأوطأ الله أرجل الغالين حجرك ومقاصيرك . وما  
اعتادني بعد ذا من هم جديد ولا ألم بي ملم يجدر بالذكر الي اليوم السادس  
من شهر يناير الكائن في سنة اثنتين وتسعمائة وألف وهو مستهل الكربة  
ومبدأ تاريخ الشقوة

## السجن

ما ذكر أمرؤ عهده بنكبة حلت ساحتِه وخطر شهد هوله إلا  
تجددت فيه جزعاته وفزعاته وعادته الآلام كان استشعر بها في ابانات نزول  
الخطب واشتداد الويل . الآن يخيل لي اني بسجن الاستبداد واني أعاني  
ما خلثني فرغت من معاناته . ولولا اني قليل الاعتداد بما تأتي به الأوهام  
وما ينجاب عنه دخان الشك لطلال هي وساء عيشي . وما ذاك الذي اذكره  
رجفان في الروع ولا خور في النفس ولكنه أثر تستبقيه شدائد الأيام .  
لكل كارثة منه جانب ولكل فادحة منه سهم . على اني سأزجر فؤادي  
عن ذكر ما مضى وأقطع من تلك العظام ابقاء لرونق أمل أتلقى به هذا  
العيش الجديد الذي لبسنا لبوسه . فان تجر الأقدار طوع ما أردنا من  
الخير فذلك نعم الموض وان تحل حوائل الايام دون استتمام رغباتنا  
واستقرار أماننا فان في لذة الادكار معاوناً على التآسي . سبحان من جعلني  
راوياً بعد ان جعلني شاهداً وسبحان من أخلى تلك المعاول بعد ان ظننا  
حقبة من الدهر ان ان يستفتح الزمان مغاليقها وان لن يذل جبارتها  
لكل ذي حياة يوم هو أشهر أيامه . وما في أيامي مثل اليوم السادس  
من شهر يناير ولا في أعوامي عام مثل العام الثاني من التسعمائة والألف .  
طلعت عليّ طلائع الويل من يومه الثاني وما تلاه يوم إلا استجد لي فيه  
شر . خلثني مجدوداً حتى اذا حياني سنحه تمنيت جذمه . فليذهب وقد  
ذهب لا أعاد الله مثل شوْمه

أهاب بي سجرة داع من الوجد فاسمع . قلت ما هذا الذي استفزني

من كراي وأنهم ضني من رقدتي . وتقدمت الى احدى الكوى وجعلت  
أنظر منها الى الحديقة . فاذا الوقت صحو والروض ندي والشجر موقف  
المن لا تلويه نسائم والغصون مجردة من غلائل الأوراق لا تتاود ولا  
تعذر واذا عصفير تتطاير من أماليد الى أماليد . برحت وكناتها وودعت  
فراخها فهي تتحوم لتلتقط حبات سقطت من يد الانسان في غفوة من  
حرصه . والماء كالناوية جلتها كف الصناع . تتجدد صفحته كلما عبت فيه  
العصفير بمناقيرها ثم يخف تجعدها ثم يعاودها استواؤها . وعلى متون  
الغصون قطرات من الطل هي ولا شك بقايا دموع الطبيعة حين بكت  
بنيها . فهاج المشهد بلا بلي وأثار أشجاني وكدت أصيح طرباً . وقلت  
ندع مثل هذا وتأوى الى الاجداث !!! ولكنني أشفقت على نفسي ان  
يطغيا حرافيقها . فالتفت ورأيت واذا بنيتي وأخوها نائمان يرتفع صدرهما  
وينحطان . فصبحت كلاً بلثمة على جبينه وثب لها فؤادي وبدرت من  
عيني بواذر شؤونهما . فقلت دموع بدموع أيتها الطبيعة والباديء أظلم .  
ثم أقمت أترقب ان يتقدم العهد بالنهار علي أجد سبيلاً كانت اشتبهت  
مسالكها او أحدث رأياً أدرع به في لقاء الخطر المنتظر . غير أنني لم  
أبرح البيت يومي ذلك حتى المساء . فلما أصبت عشائي خرجت أنشد  
الطبيبة لتصف لامرأتي دواء وكانت اشتدت عليها أوجاعها

فركبت التراموي متوجهاً الى بير ( بك اوغلي ) . ولما هممت  
بالنزول تبغني رجل لم ألق له بالا . وفي بير مطعم يقال له مطعم طاوقاتليان .  
يعرفه كل من زار فروق في عمره مرة . فما بلغت مكانة الأاعترضي رجل  
من الشرطة قائلاً : الى أين تريد ؟

قلت : - وما يعنيك أنت من ذلك ؟

- اني أسألك لأني من رجال الشرطة وعليك ان تجيبني

- انا ذاهب لادعو الطيبة الى عند امرأتي . انها نساء وقد اصابها

نزيف من الدم لا يمكن لنا ان نتغلب عليه

- ما أظنك صادقاً . ولا بد من مضيك معي الى متصرف ييرا

- لماذا ؟

- كذا أردت وكذا ينبغي ان يكون

- وان انا أبيت المضي معك وقلت لك : ما انا بالقاتل ولا بالسارق

ولا بالمعربد وليس لي عند المتصرف شغل يدعوني اليه . فما أراك تفعل ؟

- آخذ بطوقك وأجرك على وجهك حتى انتهي بك الى المتصرف

- أنت لا تعرف من تخاطب ولا تعقل ما تخاطب به الناس .

خذ هذه البطاقة واطلبي في داري او في مكان خدهتي

- لا حاجة بي الى بطاقتك . وما اعترضتك جهلاً بك . ولا بد

من المضي معي . وما أتم الرجل كلامه الأرى بنفسه عليّ وحاول ان

ياخذني من خناتي . فأهويت على يده بعصا كانت معي فشلت وعاجلته

بضربات كندف الفطرن وأخذت منه سيفه فألقيته على الأرض ثم

جعلت أذرع الرجل بقدمي واستطرده أمامي صائحاً به : سر . الآن انا

أذهب بك الى متصرفك . فلما انتهينا الى باب المتصرفية أخذ جماعة من

الاوروبيين يتصايحون :

-- ما هذا؟ ما هذا؟. أكذا يتصيدون الناس في الطرقات

ليذهبوا بهم الى بحر مرمرة !

— ماذا فعل هذا المسكين ؟

— لعله سكران . لقد ضرب البوليس ضرباً مبرحاً

وقد بلغت الشهامة من بعض الاوروبيين مبلغها . فدنا مني  
وأمسك بذراعي وهو يقول :

— لا تذهب . وليأخذوك قسراً ان كانوا رجالاً

فكثر اللفظ بين الوقوف وعلت الجلبة وتكأف الزحام . فأحاط بي  
جماعة من الجاندرمة وحيل بيني وبين الناس . فتقدمت الى باب المتصرفية  
آخذاً بطوق الشرطي الذي اعترضني . واذا جماعة من اخوانه يتقدمهم  
قوميسير اسمه شاكر افندي هو من اهل ( بوسنه سراي ) . فلما بصر  
بي دنا مني ومد يده الى حزامي ليرى مسدسي فيأخذد ويخفيه . وكنت  
اعزل لاسلح معي . وقد جفت يميناي ويسراي على اذني الشرطي . واني  
لأجذبة اليّ ثم ادفعه ضارباً برأسه الحائط . فأمسك شاكر افندي  
بذراعيّ وجعل يباخني حتى خلص مني الرجل . وأقبل عليّ بعد ذلك  
ملاطفاً ليسكن ما هاج بي من غضب . وقد جاء أناس من الشرطة  
فكان منهم من يعنفي وكان منهم من يلاطفي . اما المعنف فأب مزوداً  
بما قسم له واما الملاطف فكان جوابه الإعراض . وأقبل قوميسير المركز  
يقول لي : أرى ان تصعد الى مكان المتصرف وتخاطبه فيما أغضبك .  
فهو أولى بجوابك وأدرى بمواقع الصواب والخطاء مما أتيت في ليلتك  
هذه . اما نحن فعبيد الأمر نفعل ما نؤمر به . قلت : واين مكان  
المتصرف ؟ قال : انا أدلك عليه واسمى بك اليه . ولكنه لم يرجع من  
القصر . قلت : سر . فسار وسرت على اثره . وما مضت على انتظاري

ساعة الأ وقد أدخل بي على المتصرف  
أعوذ بالله !!! وجه كاللبنة وعينان كالبصقتين ولحية كالطحلب  
وانف كالسواك . كل هذا يحمله عنق نحصر الهيفاء وجسد كزجاجة  
ملؤها صبغة اليود . لو صدق ما يقال عن العنبريت وتنقب ذلك العنبريت  
بمخاط احد الاطلال . لكان دون الرجل قبجاً

تجاوزت باب الغرفة . فلتقاني المتصرف قائماً . باسم الشرف بادي  
الانس كأنه صديق لي مقيم على ودي منذ الاعوام . وحين دانته  
تبادلنا سلامين كمن يحشو التراب على رأسه فإشار الى كرسي امام مكتبته  
وامرني بالجلوس عليه . ثم ناولني سيكارة وطلب لي قهوة . حتى اذا فرغنا  
من استنفاد عبارات النفاق قال لي :

— ما يفضب سيدي !

— ما ثم ما يفضبني . اعترضني رجل من الشرطة زاعماً انك انقذته  
في طلبي . فحاولت مجادلته بالحسنى فلم افجح . وكان ساعداي افصح مني  
كلاماً وابلغ حجة .

— أترى انك اصبت فيما صنعت

— كلا . اني وقعت فيما نهيت عنه الناس ولمت على مثله اترابي .  
غير اني اكرهت على ما كان مني اكرهاً . استفزني ما استفز غيري .  
وكما قيل في المثل : سبق السيف العذل . وقد كان في سابق خدمتي  
واخلاصي لهذا الوطن شفيح لي اذا اشتدت بي الكرب . غير ان الامة  
لا تعرف من يحبونها . ولو عرقتهم لالتفت حولهم ووقفت في وجوه ظالمهم  
— كلما اتونا بعمد اخذ يجادلنا باسم الامة . كأن هذه الامة تخنار

لنفسها انصاراً لينادوا باسمها

— ما انا ممن اختارتهم الامة لنجدتها ولكني متطوع في هذه  
السبيل ولا انا ممن انصار الامة ولكني احد ابنائها وجزء من اجزائها  
— ألا ترهب بطش امير المؤمنين ؟

ما نطق المتصرف بهذا الكلام الا وانار كل ساكن في جوانحي .

قلت :

— أهذا مبلغ عرفانك . انك لأحق . خوف بامير المؤمنين احدى  
الدول او ملكاً من ملوكها . اما انا فلا جند لي ولا انا بصاحب تاج . ان  
انا الا واحد من رعيته . ومتى جاز للناس ان يخوفوا الناس بملوكهم . قد  
كنت ارجو ان تخاطبني بغير هذا الكلام ولكنك قليل النصيب من  
الادراك . تبالك ولأمير المؤمنين الذي اختارك لتجلس على هذا  
الكرسي . لو اجلس عليه قرعة لكات أحمد منك لقاء واحسن منظرأ

فزل هذا الجواب على قلب المتصرف كالمهل . فضرب بيده  
مكتبته وصاح بي : ان جاوزت في قلة الادب حد المغفرة . فما اتم كلامه  
الا وقد اكفأته على مكتبته واهويت بين كتفيه بلجمات . ( ضرب  
الوليدة بالمسحاة في التأد ) . فبدت من الباب وجوه الشرطة ورأيت اني  
لا محالة واقع في ايديهم . فصحت بهم : اذا تقدم احدكم نحوي خطوة  
تركت لكم هذا الرجل لا حراك به والقيت بنفسي من الكوة على  
الطريق . ويبقى لكم مني جثة لا روح فيها . فجاء معاون المتصرف وهو  
اقرب الناس شهباً (الى ابي زعيزع) الذي يصنعه الصغار في مصر من الجزر  
ويصيحون به في لعبهم ( يا بوزعيزع قم صلي انت صغير ومخني ) . فاخذ

المعاون يلاطف المتصرف بكلام لا اعرفه . والتفت نحوي فقال :

— لا يليق بمثلك ان يغلبه الحق . ان البك بمنزلة والدك . فقلت

— حاشا . ان والدي عاش حرّاً ومات حرّاً . وهذا الذي امامك لا

يكون والد احد . واقسم لك ان ابناؤه او بناته ليبرأون منه الى الله

فجلس المتصرف واخذت شفقاته تتحركان بكلام لم اسمعه . ثم رفع

رأسه اليّ وقال :

— سامحك الله

— بل أثابني الله

ثم دعا احد الكتاب وأسر في اذنه كلاماً لم اسمعه . فغاب الكاتب

وعاد وفي يده ورقة اخذها المتصرف ووقع تحتها بخاتمه وقال ارسل هذا

في مثل لمح بالبصر . فلما ولى الرجل نهضت واقفاً وارادت الخروج . فقال

لي المتصرف :

— الى أين تريد؟

— الى بيتي

— لاسبيل الى ذلك الآن

— وما يمنعني عن الذهاب ولست مسجوناً ولا محكوماً عليّ بحكم؟

— اذا حاولت الخروج قسرأمنعتك الجنود . ولا بد لك من الانتظار

— وماذا تريد ان أنتظر

— ارادة مولانا السلطان الاعظم

فايقتت بعد ذاتي وقعت في الشرك . فجلست . وطاف علينا الخدم

بالقهوة والسينكارات . واستولى علينا الصمت . مجلس تعالاه السكون

وأذنته دهشة الظلم ووحشة الويل . كالقبر لولا مصابيح تسطع منها  
الأفوار وأنفاس تتردد بين الجوائح والصدور . ما يعلق الطرف بشيء إلا  
ورأى فيه صورة الخطب . فلما دقت الساعة دقتها التاسعة بالحساب الشرقي  
بدا في الباب شخص مشى نحوه المتصرف . ثم غاب كلاهما وبقيت أنا  
وحدي في تلك الغرفة . فما راغني إلا قوميسير المركز وهو رجل اسمه  
حسين افندي يتبعه نحو الستة من أشداء الرجال فتقدم الرجل نحوي وقال :

- أرجو ان تتبعني
- الى اين ؟
- الى مكان ضيافتك . أنت في هذه الليلة ضيفنا الكريم
- انا لا اريد هذه الضيافة واحب ان ارجع الى بيتي
- ترجع الى البيت غداً صباحاً
- ولم لا أرجع الآن ؟
- لان الساعة قبيل الصبح . ولا يجوز ذهابك في مثل هذا  
الوقت اذ لا نأمن عليك من اعتداء معتد
- واين المتصرف ؟
- قد ذهب الى داره
- وددت لو ذهب احد منكم ليخبر اهلي بمكاني
- لك ما تريد

وبعد هذه المحادثة نهضت واقفاً وقلت للقوميسير اني رهين الإشارة .  
فشى امامي وتبعنا اعوانه . وما زال يطوف بي حتى أنزلي الى غرفة (المعاينة  
الطبية) . فادخلت فيها اذ لم يكن هناك موضع هو اشكل بي منها . فلما

استقر بي الجلوس جاءني شرطي فقال :

- ان المتصرف رآك تلعب بقلم من الرصاص كان في يدك . فارسلني  
لأخذه منك

- فتم ان المتصرف ذهب الى داره . فكيف يطلب الآن قلبي ؟  
فلم يرد الرجل جواباً . وأخرجت له القلم فدفعته اليه وذهب عني  
بسلام . واذ كان الموسم موسم الشتاء وكان البرد شديداً ولم يكن بالغرفة  
التي ادخلتها كانون ولا نار لتكسر سبرات القر . جعلت المعطف (البطو)  
غطائي واعتمدت على ساعدي فتمت

فلما كان الغد انتبهت من نومي فرأيت في الغرفة رجلين . أحدهما  
قوميسير وثانيهما شرطي . فلما رأيا انتباهي أقبل عليّ الأول منهما وسألني  
أصائم انا ام مفطر قلت : أفى السجن تريدون ان يصوم الناس . انا مفطر  
ثم مفطر ثم مفطر . فقال : هل لك في قهوة وسيكارة : قلت قهوات  
وسيكارات . فإشار القوميسير الى الشرطي فبادر ثم عاد ومعه القهوة  
والسيكارات . ولما تعالى الضجى دخل الغرفة جماعة من الشرطة . فتقدم  
نحوي رجل منهم مسلماً واخذ يعاتبني على ما كان مني في الليل . قال :

- لقد عذبت نفسك الليلة وعذبتنا معك

- وكيف ذلك ؟

- ما اسرع نسيانك . ألم تجعل المتصرفية كلها مشتغلة بك .  
وضربت المتصرف وقلت في مولانا السلطان كلاماً لا يليق بمثلك ان يقوله .  
وما صدقنا ان رأيناك نزلت الى هذه الغرفة وتمت

فرد احد الحاضرين على معاتبي منكرأ وقال : متى تكلم البك في

مولانا السلطان كلاماً كما زعمت . اني كنت حاضراً فلم اسمع شيئاً مما ذكرت . فاجابة ثالث بأن قد سمعني اشم السلطان فلما رأيت تمادي الجدال بين هؤلاء الانذال التفت الى معاتي وقلت : كان ما كان وانا قلت كل ما خطر ببالي وصنعت كل ما قدرت ان اصنع وها انا ذا اليوم رهين السجن . فماذا تريدون مني ؟ فلما سمعوا مني هذا الكلام خرجوا من عندي وبقيت مع صاحبي القوميسير والشرطي . وكان القوميسير من اهل ( بوسنه سراي ) . ذا همة وجد . يأنس المرء الى محادثته ويمجّب بادبه وحسن اخلاقه . فقلت في نفسي يا سبحان الله . كيف رمت الاقدار بمثل هذا الرجل الشهم في سلك البوليس . ثم علمت ان الحاجة اضطرته . وانها لتضطر الى ركوب كل مركب خشن . ولقد قال لي : ان نوبتنا في الجلوس عندك ست ساعات وسيأتيك بعدنا قوميسير وشرطي فيلبشان كذلك ثم يأتي آخران الى ان يمن الله عليك بالخروج قريباً . على اني ارى بك ضجراً ويأساً ولا احب ان تستسلم اليهما . الرجال يعرفون عند اشتداد اللزبات . وسأطلب الاذن في احضار اوراق اللعب معك ونعيناك على ترويح نفسك من اكدارك . فشكرت للرجل ظرفه ولم اخالفه في نهجه كثيراً

ولا يسألن القارئ الكريم عن حال من بات ينتظر ابي في البيت فذلك يطول شرحه ولا يستطاع وصفه . وكنت سألت القوميسير ان ينفذ احد اعوانه ليعلم اهلي بمكاني وكان وعدني بذلك ولكنه لم يف بوعده . ولما اصبحت والاتي وامرأتي ولم اند اليهما اوجستا خيفة وايقنتا ان امرأ اصابني . فتوجهتا الى بيت الجنرال احمد جلال الدين وسألناه ان

يستعلم لهما من القصر . ثم اخذتا تقصدان منازل الكبراء فلم تقفا على خبري . فذهبتا الى ( غلظه سراي ) وجعلتا تسألان عني كل من لقيته من رجال الشرطة حتى دلها احدهم على مكاني . واخبرهما خبري وقد كان ممن شهدوا واقعتي مع المتصرف . فجاءتا الى المتصرفية وطلبتا ان ترياني فلم يؤذن لهما بذلك . وبقيت في السجن اياماً لا ارى احداً من اهل بيتي ولا اسمع عنهم خبراً . اقضي انهارى ماشياً في الغرفة او مضطجماً على المقعد ادخن السيكارات واشرب القهوة ولا اذوق طعاماً . وفي يوم العيد عيد الفطر وقد وقع في ثالث ايامي بالسجن . جاءني رئيس القوميسيرية من قبل المتصرف مهتماً لي بالعيد . فغاضني ذلك غيظاً شديداً . فقلت له : لا هناؤ الله . أيرى الغبي اني في قصر ( طولمه بفجه ) . مقيم بين ابهة الملك وعز القدرة . ان سره اليوم اني مسجون فربما تأتي الايام بما يطيل اساءته وما ذلك على الله بعزيز



## اعوان النعمت

ان في دول الظلم لأعواناً يسعدون في اباناتها . يؤتون الحكم على اعداء الاستبداد . يستحلون اموالهم وارواحهم حتى اذا استمروا الفواية وزين لهم الغرور ان يضيئهم استضعافاً وان يحقروهم استخفافاً وقفت النجدة نجدة الاحرار في وجوههم واهوت عليهم يد اليأس بسيف من سيوفه القاطعة لا يصيب منهم عضواً الا براه بري القلم . اولئك الطغام خلقوا بغير قلوب فلا يرحمون ونشأوا بوجوه لا دماء فيها فلا يستحون . ما تفردوا بفتى حر الا ساءوه عذاباً فسخرُوا من عقله وضحكوا لبكائه فلا يزالون به حتى يواروا شمائله ويدفنوا معه فضائله . وقد كان عبد الحميد يفيض احرار الامة ويطاردهم لأنهم اقاموا له بالمرصاد فاحصوا سيئاته في كتبهم وعبروه بمثالبه في منشورات فصولهم . اما اعوانه فلم يفيضوا الاحرار حباً في ذاته بل رغباً في ذهبه ورهباً لبطشه . ثم لم تزل تلك العداوات تنمو في صدورهم حتى انقلبت غرائز . فبات عدوانهم للاحرار طبعاً فيهم . واني لذا كر في هذا الفصل بعض ما بقي بالخطاط من بغي هؤلاء القوم لتكون حجة عليهم خالدة خلود الابد وليتمظ بها سوام

جاءت خادمتي يوماً من الايام ومعه فولاد يكن وهو اكبر ابنائي وطلبت الى الموكلين بحفظي ان يدخلوا به عندي ولم يتجاوز عمره العام الواحد يومئذ . تخافوا ان تكون في ثيابه ورقة اخفاها اهل بيتي . ففتشوا الطفل فلم يجدوا معه شيئاً . ثم خافوا ان اكون كتبت ورقة واعدتها ليوم يحيى الطفل وان انال غرة منهم فاجعلها في ثيابه وما

كنتموا ذلك حتى عن الخادمة . فرجعت آيسة وهي لا تكاد تصدق ما سمعت اذناها وما رأت عيناها

وقد اذنوا ذات مرة لوالدتي ولامرأتي ان تريايني . ولكن جعلوا لهما شرطاً ان لا تكلماني الا باللغة التركية وان لا تسراً الي الحديث . فلما ادخلتا علي احاط بنا رجال الشرطة من كل ناحية . فجعلت امي تؤنبي فتقول : بلغني يا بني من المتصرف انك نطقت في سلطاننا بكلام غير حسن . من أين جاءك هذا الادب الجديد وانت تعلم اننا نحيا تحت امته وترتع في مجبوحة نعمه ولا اصدق ان تكون قلت هذا الكلام وانت اشد الناس اخلاصاً لمولايك . فقلت : يا اماه . اقصري في ملامك . اني عنك في شغل وان في فؤادك مقدار ذرة من حب هذا الرجل فابري مني الى الله . ثم التفت الى امرأتي وقلت : اود ان تلزي بيت زوجك وان لا تجعلي لقدميك مراحاً على ارض الظلم . فخرجت المرأتان وهما يذرغان الدموع

ولما كانت الليلة العشرون بعد دخولي السجن . بلغ مني اليأس اقاصي الروح . وكانت النوبة في تلك الليلة للقوميدير شاكر افندي الذي تقدم ذكره . فاقرب مني بكرسيه واخذ في يده اوراق اللعب وجعل ينظر فيها على الطريقة المعروفة عند الغربيين وهي المسماة (بسيانس) اي الصبر . ويزعم اناس ان نابليون الأول كان يسلي نفسه بهذه اللعبة حين اعتقاله بجزيرة القديسة هيلانة . فقال شاكر افندي :

— هذا فال مجرب . لا يخطئ ابداً . فاضمر في نفسك ما تريد معرفته وانا اصف الورق ثلاث مرات . فاذا نجح الفأل ثلاث مرات

فراذك لا محالة ميسر . واذا نجح مرتين فيغلب تيسره على تعذره . واذا  
نجح مرة واحدة فتعذره اقرب من تيسره واذا لم ينجح الفأل ولا مرة  
واحدة فدون مرادك اجتياز ما بين السماء والارض

- سل ورقك أأخرج من السجن قريباً ام يطول فيه مقامي  
فنظر الرجل في الورق وأجاله ثلاث مرات فلم ينجح في واحدة  
منها . فقلت :

- سل ورقك أأرسل قريباً الى أقاصي بلاد الاناطولي منفيماً  
ويكون ذلك في غنوة من عيون أهلي ويطول في انفي مقامي ؟ فامتنع  
صاحبي باديء بدء ثم أجابني الى طلبي فاجال الورق ثلاث مرات فنجح  
الفأل فيها جميعاً . فاخذ الورق وجد به الارض وقال هذا فال غير  
صادق . قلت : وكل فال هو غير صادق . وتركنا بعد ذلك ما كنا فيه  
من الفأل واضطجعت مكاني فقلب علي النوم . فانتبهت على يد تهز إحدى  
كتفي هزاً . واذا رجل ربعة القامة ممتلي الجسم عليه سماء أهل الجنائيات  
وخلفه شرطي يمينه مصباح فيه شعة مشعلة . فنهضت فوجدت القوميسير  
شاكر افندي قد انتهت نوبته وجاء مكانه رجل آخر اسمه حسين افندي  
وهو كذلك من أهل ( بوسنه سراي ) . وكان حسين افندي مطرقاً  
مفكراً . لا يبدي حراكاً . فقلت للرجل الذي أيقظني :

- ماذا تريد ؟

- اريد ان أذهب بك الى السجن

- أولست اليوم مسجوناً ؟

- كلا . ما كنت الى الساعة الاً منيفاً ولكنك منذ الآن مسجون

— كم الساعة الآن ؟

— نصف الليل

— أنا لا أبرح مكاني هذا قيد شبر . وإذا شئتم ان تذهبوا بي الى السجن فليكن ذلك نهائياً

— لا تخف

— ما أنا بخائف ولكني لن أبرح مكاني

فلما سمع الرجل مني هذا الكلام فكر ملياً ثم ذهب فغاب عني دقائق قليلة وعاد يستعيد معي كلامه غير انه قال لي : الطاعة خير من العصيان واذا لم تذهب معي مختاراً أخشى ان يذهبوا بك مكرهاً وذلك ما لا أحب لك

— اذن فاذهبوا بي كرهاً . أما أنا فلن أختار المسير في مثل هذا

الحين الى موضع لا أعرفه

— ولكن كيف تستطيع ان تغالب الحكومة . دع عنك العناد .

ان وراءه لندماً طويلاً . واذا أوجست من ذهابك شراً فذلك وهم منك .

واني لأقسم لك بالله ان لا يصيبك اقل مكروه

— لا سبيل الى ما تريد . فاقض ما انت قاض

فذهب الرجل والشرطي الحامل للمصباح وبقيت مع حسين افندي

والشرطي المناوب . فقال حسين افندي : ارى يا بك ان لا تخالف القوم

فتخرجهم معك ولا خوف في ذهابك مع الرجل والسجن ليس بعيداً

عنا . ثم عاد الرجل ومعه حامل المصباح فقال لي :

— اقسم لك برأس السلطان انك لن يصيبك اذى . واستجذبتك

بكل عزيز عليك ان لا تكرهنا على ابداء الخشونة  
- حلفت لي بالله فلم اصدق حلفتك ثم حلفت لي برأس السلطان  
فأيقنت صدق ما تقول وها انا طوع اشارتك فاذهب بي الى حيث تريد

## السجن الجديد

نادى السجنان بأعلى صوته : من القادم وجاوبه من يقودني مسرعاً :  
لا غريب بيننا . فسمع صرير الباب وأجترنا ساحة حتى وقفنا امام مديره .  
فتأمل الرجل وجهي وقيد اسمي في دفتره وذكر من اوصافي ما يحتاجه ثم  
سعى بي رفيقي الى ناحية . فناداني ان طأطأ رأسك واصعد السلم على  
مهل وصعد وانا على اثره . فدخلنا حجرة خالية ما بها الا خوان في وسطها  
والى جانبه كرسي فيه خرق واسع لم انتبه له . فثبت الرجل شمعة كان  
اخذاها على ذلك الخوان و اشار الي بالجلوس على الكرسي وحين اردت  
ان استقر فوقه هويت من خرقة الى الارض حتى التصقت ركبتاي  
بصدري فجعلت احاول الخلاص فلا استطيعه وبهت الرجل فجعل ينظر  
الي دهشاً ولا يتحرك من مكانه . ولم ازل اعالج ذلك الخرق الى ان انقلب  
بي الكرسي على الارض وخرجت مجهوداً ينقط جبينى عرقاً . فقلت :  
ساء ما تتبوا من مقاعدك ايها الدار . ووقفت انفض التراب عن ثيابي .  
و حين عاودت صاحبي السكينة ذهب وعاد وهو يحمل فرشي وكانوا اتوا  
به من داري قبل ذلك بأيام . فجعله على ارض الغرفة وودعني وانصرف

فلما اطمانت نفسي الى الوحدة هاجت لوعاتي وجاشت همومي  
وسالت عبرات لا يكفها الصبر ولا ينهها الوقار . ما ارحص تلك  
الآلى عند من كان على شاكلي من اهل الضعف . هذا ذنب افر به  
طامعاً واسجله على نفسي آسفاً . وان من العار على المجاهد في حب وطنه  
ان يغلب عليه طبع السيدات فيبكي في موطن هو أحق بأن يبدو فيه  
بخوته . ولكن كذا كان . بكيت ثم بكيت ثم بكيت . لا القوافي  
اسمدتني ولا الحكمة صاحبتني ولا العزيمة اهابت بي . ان هو الأدمع  
دجاناً وتهتاناً . بللت به مواضع ألهبها الحزن فكنت شاعراً في نظم  
العبرات ولم اكن شاعراً في نظم الايات

يا لك من ليل اسود الاهداب موحش الجوانب . اظلمت هواديه  
وما ستنارت تواليه . ويا لك من مشوى بين تلك الاواح المحددة لتكون  
ارضاً والمشبكة لتكون سقفاً . هكذا طال الحزن فغشيني نوم كأنه الموت  
ظلمات صريعة الى الصباح . وما انتبهت الا وقد بدا النهار مفتوق الاديم  
أغرّ الطلعة . فاستويت على حرف الكرسي المحرق واذا كوة مفتوحة في  
بعض الحيطان تناصفها سلام لا ارى اوائلها ولا اواخرها . أطل منها  
رجلان . قال احدهما لصاحبه :

— ما هذا الذي ارى ؟

— لعله ضيف جديد

— لا مرحباً به . والله لكأنه من اوز البر

— مثل هؤلاء لا ينبغي ان يصطحب بأوجههم . فهي شؤم على

من يراها

- هذا وجه خلق ليزرع فيه الفجل

- خلق ليصق عليه

فصحت بالرجلين : ماذا تريدان مني . خلياني وشأني . لست من

حزبكما

فقال احدهما : ألا تسمع . هذا يتكلم . ما كنت احسبه انساناً .  
فلما لم ينصرف الرجلان آثرت الصمت حتى ذهباً عني . ووقفت انظر  
حولي عسى ان اجد شيئاً اتلعب به عما انا فيه من العذاب . فجعلت آخذ  
اعواد الكبريت وارصفها على المائدة في اشكال مختلفة ثم اعدتها ثم اشعلها  
واحدة واحدة فسئمت هذا اللعب فقممت امشي في الغرفة وأعد خطواتي .  
فابلغت نحو الالف الاً وقد اضجرتني العد . فرأيت ان انظم شيئاً من الشعر  
فاستعصى عليّ ولم يجر على لساني ولا ييت واحد . فجعلت انشد ما احفظ  
من اشعار القدماء . فما راقتني شيء منها وما زلت في هذا العناء الممض  
حتى امسيت

فلما مضت من الليل أوائله استدعاني مدير السجن الى غرفته .  
فذهبت . فاكرم وفادتي وسقاني الشاي واقبل يحادثني باطيب ما سمعت .  
ولما أردت الانصراف من عنده صعد بي الى حجرتي ووقف بي امام  
كتبه وقال :

- تعلم ان الكتب السياسية او العلمية لا تدخل بيوتنا فكيف نطمع  
ان نجعلها عندنا في مواضع مثل هذا . ولكن أمامك من الروايات ما  
شئت . كلها مترجم من الفرنسية الى التركية . فاختر لنفسك احدى  
الروايات لتكون تسلية لك في وحدتك . فسرتني من الرجل هذا الظرف

وشكرت له جميله واخترت احدى الروايات وكان فرحي بها فرح الفقير  
أصاب كنزاً . وبتلك ارواية قضيت مابقي من ايامي بالسجن .  
وكان المدير يدعوني كل ليلة اليه فيحادثني ويخفف عني ما أجد من  
كد الوحدة

## الاحرار في بطون الارض

قد يحمل بعض الناس اكثر ما انا ذاكر في كتابي هذا على  
المبالغة . فيقولون شاعر يجري مع الخيال . كما حمل بعض اصدقائي ما  
سبق من فصولي على هذا المحمل . ولكن الذين بلوا بمثل ما بليت به  
يحدوني مقصراً ولولا جرأة تعودتها منذ خلقت لامسكت عن ذكر  
اشياء كثيرة لكي لا تعتورها هذه الشبهات . غير اني لا ابالي الثناء  
ولا ابالي الهجاء وانما ابالي ان يصدق في احدهما . فليسمع القارئ وليسأل  
اخبرني مدير السجن ان بالسجن الذي كنت به سرداباً مظلماً  
تحت الارض . ارضه الوحل وسقفه الحجارة لا ينفذ اليه ضياء النهار  
ولا يتهادى فيه نسيم الشمال . وهناك برميل فيه ماء غير مصفى والى  
جانبه صخرة نحتت لتكون كرسيّاً يجلس عليه المسجون . موثقاً بالاغلال  
والاصفاد ولا يجدد الماء الذي في البرميل الا اذا نفذ . قال وكانوا يدعون  
المسجون هنالك الى ان يموت

قلت : — اراك تخبرني اخبارك قائلاً كان . وهل تبدل ذلك الآن ؟

- نعم تبدل كثيراً في الاستانة وهي كما علمت امام عيون الدول .  
اما الولايات البعيدة عن الثغور فلم يتبدل فيها شيء . وقد علمنا ان  
السلطان امر بزيادة التعذيب في سجون الولايات البعيدة وفيها اليوم ما  
يذهل اهل الرأي ويستبكي كل حر في الرجال

- وما يمنع السلطان من رقبة الدول عن ازال العذاب باعدائه .  
وهو كل يوم يقتل ويسجن وينفي . لا تسأم ذلك نفسه ولا يمجج ذوقه  
- أجل . غير انه يقتل سرّاً لاجهراً . وأحوال السجون بالاستانة  
لا يعلمها أحد مثلي . ولقد يؤتى بالرجل المظلوم فيبقى في السجن شهوراً  
واعواماً لا يسأل عنه سائل ولا يعرف هو الجرم الذي سجن من أجله .  
واكثر أهل التهم السياسية يظلون بعزل عن سواهم من المسجونين .  
فلا يؤذن لهم بمخالطة احد ولا يهناؤون بزيارة قريب من اقاربهم . أما المكان  
الذي احدثك الآن بحديثه فلم نزل اليه احداً من الناس ولا يعيش فيه  
احد . على اننا انزلنا اليه بعض الأرمن الذين وقعوا في ايدينا ايام الحوادث  
الأرمنية . وهؤلاء لم يمكثوا بذلك المكان الا يوماً واحداً . ثم نقلوا الى سجن  
الضبطية ونفوا منه الى سجون القلاع والولايات . وقد كان بالغرفة التي  
انت بها الآن رجل يزعمون انه من حزب تركيا الفتاء . بلغ منه الجزع  
مبلغه فهم ذات يوم بالانتحار . ولو لم تتداركه للقي حتفه . ولما رأيت حاله من  
اليأس وما حل به من الوجع اشفت عليه واحببت ان اسليه بعض احزانه .  
فاجتنبني واساء بي الظن . ولقد قال لي مرة : أنا لا احب الجواسيس ولا  
اتقرب اليهم ولا ادعهم يتقربون اليّ . فقلت له : لو كنت جاسوساً لما  
عشت براتب قدره اربع ليرات طول هذه السنين . قال : انت تزعم ذلك

وانا لا اصدقك . وكان هذا آخر ما كلمني به الى أن من الله عليه بالخروج

- كيف يأخذون الناس ليلقوهم في البحر ؟

- ذلك ما لا علم لنا به . لانهم لم يأخذوا منا احداً وألقوه في البحر .

وانما يأخذون من يريدون اغراقهم من نظارة الضابطة . هنالك خزيتهم .

ولا يعلم ذلك كل مستخدم في تلك النظارة . بل يعلمه اناس من كبارهم .

فهم الامناء على هذه الاسرار

- وهل سجن عندكم كثير من الاحرار غير من ذكرت

- بلى . ثم اعلم ان بجانب الحجره التي انت بها حجره ثانية

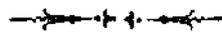
عرضها متران وطولها متران . هذه يجعل بها من عظمت ذنوبهم من اهل

السياسة ولا يوضع فيها الا رجل واحد . لا يقدر ان يضطجع ولا ان يجلس

بل يظل واقفاً حتى تتخاذل قدماه . فان باح بسره اخرج من الحجره

وامضي فيه حكم القوم وان ابى انكاراً بقي مكانه حتى ييوج . وما باح

لنا احد بسره والذي اراه انهم لا سر لهم



## بعض ما وقع ايام سجنني

انما يعرف الصديق الوفي عند اشتداد الكرب وتوالي الحوادث .

أما ادعاء الود والعيش في خفضة والحال في استقرار فذلك يتساوى فيه

صادق وكاذب . وفي كرام الأعداء من يشفق على عدوه اذا قلت مرته

ومال ركنه . والله أيام الشدائد . تعلم من حيث تستبكي وتهب الموعظة

من حيث توجع

سجنت فأعرض عني اخوان الصفاء . راعتهم نكبتني وباعدت ما بيني وبينهم محنتي . فبالغوا في الحذر من جانبي ورثت يومئذ حبال كانت احكمتها الألفة في ظلال الأمن وفي ساعات الغرور . ولم يرث لبلواي ولا بكى لمصرعي سوى قليل من الاخوان وواحد من الاعداء .

أما الاخوان الذين استهانوا بالاهوال في جانب الاخاء واقبلوا على مورد الموت الاحمر يطلون حيث جندل أخوهم الشهيد فاوائك منهم زكي الحسب مصطفى بك الخزومي أحد أعضاء مجلس المعارف اذ ذاك ومنهم الشهم الأوفى المرحوم محمد صديق خان الحسيني وهو أحد أعضاء ذلك المجلس وقد تقدم ذكرها . وآخرون غير هذين الصديقين أدع ذكرهم اجابة للتمسهم . فكان عدد الذين أهمهم أمري لا يزيد على الخمسة . جزاهم الله عني خيراً اني عاجز عن جزائهم . ولقاهم من السعادة بقدر ما ابتلاني به من الشقاء

وأما العدو الذي نسي يومئذ عداوته فهو زهدي باشا ناظر المعارف كان سوساً لخزائن الحكومة . لا يدع قطعة من الذهب إلا نخر فيها . لا يرحم في سبيل آرائه صغيراً ولا يوقر كبيراً ولا ينام عن خصم حتى يردبه ويزيله عن موضع عزه . وقد كان لي واياه شأن من الشأن . وحين أمال الدهر عماد سلطاني واسلمني الى من يطيل همي وتسهيدي . امر زهدي باشا بصرف مرتبي وأرسله الى أهلي وحمل رسوله من كلام الودّ وجميل العزاء ما كاد يثاج صدورهم . ثم ارسل اليّ يقول : انت اليوم رهينة السجن . لا حول لك ولا قوة واخشى أن يحدث لك من اليأس ما يذهب بعزك . فاصبر لن الصبر درع الكريم اذا نأبته نأبة . وسلي كل حاجة تكون

عرضت أقم لك بقضائها . فرددت الرسول أحسن ردٍ وقلت ان حاجة  
الحرّ في رأسه لا في صدره واذا بخلت الايام بها فلا أتمسها عند من هم  
ابخل منها

وبينما انا في السجن . لا علم لي بما تجري به الاقدار . اذا جماعة من  
المظلومين يقادون الى ذلك البيت غير المحبوب . عضت السلاسل على  
سواعدهم عض الثقاف على صم الاناييب . اخرجتهم يد الجور من مستقر  
دعتهم وقادتهم الى مستشار فزعم . احد اولئك المظلومين هو المرحوم  
جبرائيل افندي غرغور وهو من مشاهير المحامين وكان وظيف عضواً  
بامانة البلدة . ثم رجل من الاروام وولده معه وهما من مشاهير تجار  
الجواهر والحلي . وكان السبب في سجن المرحوم غرغور انهم عثروا في  
داره على بعض مطبوعات الاحرار . فاتوا به مسرعين ولم يمهلوه ان يلبس  
ملابسه . وانما اقام الحجة على ذلك الشيخ الجليل ان احد نجليه وهو  
نعوم افندي غرغور كان فرّ الى اوروبا ولحق بجماعات المجاهدين من  
الاحرار ولم يثنه عن جهاده وعد القوم ولا وعيدهم . فقالوا نتقم لأنفسنا  
من الاب اذا قاتنا الانتقام من الولد

والرجلان الجوهريان حسدهما هاروناشي جوهرري عبد الحميد .  
وحساد التجارة شر من حساد الدولة . فوشى بهما الى مولاه زاعماً انهما  
من اعوان رشاد افندي ولي عهد الملك العثماني . فخلت بالرجلين تقمة  
الظالم الجبار وخلا الجو لوجه هاروناشي وفاز بربحي التجارة والوشاية .  
وقد ارسل غرغور افندي ورفيقاه الى ولاية قسطنطيني وبها مات غرغور في  
سجنه وخلص الاب وابنه عند اعلان الدستور

هذا بعض ما جرى في السجن . وما جرى في بيتي اجلب للعبرة  
وأدعى للعجب . فقد ملك الجواسيس الطريق واقاموا يرقبون من يزور  
اهلي . فان كان عثمانياً تلاحقوا به واخذوا بطوقه وان كان اجنبياً حاربوه  
بوشاياتهم وهي لا تضره ولا ترهبه

الى الله المشتكى من احوال تلك الايام . عيون يوافق تحرى مواضع  
الشبهات وأيدٍ تحتفر القبر لمن عز ناصره وهان جانبه وقلوب خلت من  
جوانبها مواضع الرحمة فقتت فهي اشد قسوة من الحجارة . وان بداري  
لنحيياً تنط له الاركان وتزلزل قواعد البنيان وحزناً يتصلصل بين  
الزائب والنحور . ثم امرأتان أم وزوجة وطفلان لا يعلمان من الحياة  
شيئاً . اشككت عليهما فحوى الدموع فاحرقت قطراتها وجناتهما فهما  
يتلملان . ما حلت الايام منهما عقد اللسان فيكون منهما معوان على  
الشكاية بل ألها الحزن الهاماً . والبكاء في الانسان سجية وفي ارتجالات  
الاعين ما لا تقوم له بدائه القرائح . سر ايها القلم هذا زمانك قد خلا  
زمن العبرات

استنجدت المرأتان كل من ظنتا به نجدة وطرفتا كل باب حسبنا  
وراءه ملجأ . فاوصدت الابواب وتضاءلت عزمات الكرام . ثم صاح بهما  
الشم قفا فوقفتا . ذلك انذار اليأس يستعيد الفتوة في النفوس  
ولم انس مما امتحنت ربي به حوادث الايام شيئاً مر بي اوثر  
ذكره في سطورى هذه . ان في ذكره لعظة خالدة وحكمة بالغة يأخذ  
منهما اللبيب على قدر ليه

اصبحت في بعض ايامي بالسجن كما يصبح من قضى ليلته على شوك

القتاد . اردت النهوض فخانتني قدماي . فاستجمعت قوتي فعمل اليأس من حياته اذا هوى في جب ذرعه الف ذراع . فوقفت اجيل طرفي بمنة ويسرة وهما يتسافط نورهما من اطراف اهداهما . هذا موقف الحيرة . لو تمثل لي الموت شخصاً ونزا الي بسنانه واقتر عن نواجذه واحدق باصرته لما وجدني مهزاً ولا انس مني ذعراً . فطال وقوفي زمناً لا ادري مقداره . واني لكذلك واذا السجن سمعت صرير مفتاحه على قفل الباب وبدالي وجهه الأربد في ابتسامه القبيح . فقلت لا حيي الله هذه الوجوه . فسلم فسلمت . ثم سألته :

— ما جاء بك الساعة ؟

— خدمتك

— جزيت خيراً . لا اريد شيئاً

— ألا تفطر ؟

— كلا . ولكن اثني بالقهوة

— والدتك جاءت وهي تريد ان تراك . فطلبت الى المتصرف ان

يأذن لها في زيارتك . فاذن لها ان تراك من باب السجن ولم يأذن لها في الدخول عندك

— اذهب فبلغها عني اني بخير واني اطلب منها دعاءها واستمنحها

رضاها ولا اريد ان اواجهها في هذه الدار المظلمة جوانبها

— لا سبيل الى ما سألت . وما هي ببارحة ان لم ترك بعينها

فلم يبق الا الرضاء . فتبعت الرجل حتى اذا اتهينا الى دهليز

السجن استوقفني جانباً وفتح الباب لوالدي واقام دون ممرها سلسلة الباب .

فاشارت بالتحية واشرت بالتحية وأومأت اليها لتعود فمادت. ورجعت الى  
غرفتي مسرعاً أكفكف عبرات استنزها الهول المتجدد . وقد علمت ان  
الوالدة اذا رأتني بذلك المكان غلب عليها الحزن وانثنت مثقلة بفادحات  
الهموم . ولكن قلت الحيلة في درء ما يتوقع . فاليقنت ان لا سبيل الى  
الراحة في ايدي قوم تستطيب لحوم الناس أنيابهم وتستلذ الدماء افواههم .  
واقمت انتظر ما سيكون



## من السجن الى الباخرة

اصبح بسجن وامسي بباخرة . سبحان مقلب الملونين في ثنيات  
الأبد . خطى معجلة الى شقوة مؤجلة . يا بعد غاية المقادير  
زارني قوميسير المركز فقال سلام . قلت سلام . فافتّر ثغره عن  
تبسامة كأنها تبسامة الجذث لميت جديد . ثم دنا حتى بيني وبين  
الوجود . فانشأ فصول الخدع فقال :

— اما مللت مقامك في ضيافتك هذه ؟ انا مللناك وسئمنا طول  
لبثك . وسنشرب القهوة عندك الليلة فانفض غير مخذول ولا مروع  
— الى اين تذهبون بي الساعة ؟  
— الى ساحل النجاة  
— الحمد لله على نعمته

فشى البشير امامي ومشيت وراه حتى اجزنا باب السجن . فرأيت  
في طرقات المتصرفية طوائف من رجال الشرطة يتغامزون ويتسارون .

ومازلنا في صعود وانحدار الى الباب الجنوبي . فاذا عربة يحيط بها جماعة من فرسان الجندرية . واذا في العربة رجلان احدهما من رجال الملكية وثانيهما من ضباط الجندرية . فتقدم القوم سير ففتح باب العربة وادخلني فيها ثم وقف امامي وقال :

- ما امامك الا كل خير . لا تخف شيئاً وسألحق بك هنالك

ويكون لي معك حديث تستطيه

وما اتم الرجل كلامه الا وانطلقت بنا العربة تحيط بها الفرسان حتى لظننت اني قد صرت ناظر الداخلية او ناظر المعارف . وما برحت بنا تهوي مخارم الطبخانة الى ان وقفت عند شاطئ البحر . وما هو الا مثل ملح بالبصر واذا بالباب وقد فتح واذا بنا قد نزلنا . فأقبل نحوي الرجل الملكي يستلفتني الى زورق كبير كان راسياً على مقربة من مكاننا . فإشار يدعوني الى النزول فيه . فنزلت وانا في كل خطوة اتقل من يد الى يد  
كرة طرحت بصوالة فتلقفها رجل رجل

فلما استقر بي مجلسي جلس الرجل الملكي الى جانبي وجلس الضابط امامي وسار بنا الزورق في موج متراكب وريح طيبة لا يسمع من الزورق الا قعقة اضلاعة وايقاع مجاذيفه وضربات الامواج في حيزومه وجوانبه . فكنا نجتاز البواخر وعليها الرايات العثمانية والاجنبية فلا تقف عند واحدة منها . نخيل الي ان قد دنت الساعة وازف فراق الدنيا . وما لبثت ان راجعت نفسي وقارها وغلبتها على وجلها فتأملت وجهي الرجلين الملكي والضابط واذا هما يتغامزان . فقلت قد وضع الصبح لذي عينين . انا لا ادع هذين الصاحبين ياعدان مجلسي قيد ذراع ومتى ان لي الفوص

في اليمّ جمعت بطوقيهما اليّ فغصنا جميعاً . وانا لعلّى مقربة من ( سراي بروني ) وهو موضع يزعمون انه اتخذ ليلقى منه الابرياء في البحر . فارتفعت لنا باخرة لا كالبواخر . كأنها الزورق في حالها . خافتُ صغيرها بارد زفيرها . علا الطحلب جوانبها فكساها مثل السابري المضاعف نسجه . تدلى من جانبها سلمان يصعد عليهما المسافرون وينحدرون . فرسا بنا الزورق الى جانب الباخرة . فتبينت اسمها منقوشاً بالخط الكبير ( بحر جديد )  
فما راغني الاّ احد صاحبي وقد اخذ يميني وجذبني الى نحو السلم . وما هممت بصعوده الاّ وتخاطفتني الايدي وعلت في اذني اصوات من معي يقولون ( بيورك . بيورك ) تفضلوا تفضلوا . فما خلصت من ايديهم الاّ بعد ان بلغت أعلى الباخرة

فادخلت المجلس واخذ حراسي باطرافي . وقد اشتهدت نفسي التدخين فددت يدي الى ملائبي لأستخرج منها سكايري . فقبض عليها احد الجلوس قبضة كاد يقتلها من اصلها . قلت :

— مالك ؟

— ماذا تريد لتصنع ؟

— اريد ان استخرج سيكارة ادخنها

فلما رأى السيكارة في يميني سري عنه وهدأ باله . فظلمات بين القوم ساكتاً لا احادثهم ولا اجاوبهم اذا حادثوني . ولم تلبث ان جاءنا قوم من الشرطة ومعهم فراشي الذي كنت ايت عليه في السجن وما يتزود به المسافر من طعام وغيره . وكنت سألت الملكي الذي صحبني الى الباخرة ان يخبر اهلي بمكاني عسى ان أتزود بنظرة اليهم واوصيهم وصاتي . فوعدني

وعداً ظهر لي المثل في اعقابه . وقد طاف اهل بيتي دور الظلم يستخبرون  
عني . فعادوا وهم لا يعلمون لي مستقراً وادرعوا الحزن الطويل  
والياس المرير

## نظرة في حال فروق

يمت فروق مدعواً وتزحت عنها مجفواً . فلا الدعوة أبطرتني ولا  
الجفوة كفرتني . وما زلت من لدن وطئت مهادها وعلت انهارها وشممت  
طيبها ورعيت كواكبها صادق الود . مخلصاً في السر والجمهور . وما فروق  
الا وطن ميلادي استهلت فيها حياتي ونما في أرضها عودي . بذلت لها  
روحي ولا أمن بها ومنحتها آمالي ولا ادل بها . وكانت شقوة فغلبت على  
أمري وفارقها فراق الجبان روحه ونزعت عنها نزوع الصب عن  
موطن صبابته

رأيتها اختلفت فيها الالهواء وكثرت المطامع . خليفة الله فيها يقتل  
عباد الله ويستحل ما حرم الله من أموالهم وأعراضهم . ورجال الدولة  
وحماة مجدها عصابة من أهل الحرص يسلبونها قليل ما أبتت لها الايام  
من طارف لا يجمل عدده وتليد لا يستطيع حفظه . ويحمل العرش يومئذ  
رجال كادوا يشاركون الله في ملكه وينكرون عليه قدرته . فهالني ما رأيت .  
وددت ان لو قامت نوادي ولم أر تلك الفادحات . فعاهدت الله ان  
لا اسالم خائناً ولا اسكت على عداء . وما زلت اجالدهم حتى كاثروني . وما  
سلاحني الا يراع تشنر فلا يفصح صوته وخاطر انضبت ينايعة فلا يجري  
معينه . وان امامي لرجالاً اولي قوة وسلطان لا تأخذهم صيحة ولا يرهبهم

بطش . وقد خذلني من خذل من الانصار . فبقيت في صفر قدري  
وضمف ركني اسير من لا يرحم وعاني من لا يفدى  
ثم المجاهدون الاحرار يسترجعون بالرغبة او الرهبة والجرائد تحيي  
الظالم في صبحه ومساائه تحيات طيبات . ومن رزقهم الله الكفاية من  
اهل الثراء وحماة الذهب يتسابقون الى عاليات المراتب . يتفتنون في  
سياسة الفوز . فقوم يحملون دنائيرهم وآخرون يتقربون بوشاياتهم وفريق  
يحكم الحيلة حتى ليخدع عبد الحميد ويسرق منه حظوته ويختلس رضاه .  
فاوجست خيفة ومائت ياساً

يموت خليل رفعت الصدر الاعظم . فيولي مكانه سعيد ويسرع فريد  
الى فروق مطالباً عبد الحميد بالصدارة . يقول : جعلتموني والياً على قونيه  
وهي دون قدري فاطمت واخترت الصبر . ثم دعوتوني لاولى الصدارة  
فقدتم امرها غيري قبل ان اصل اليكم . فقد اصبحت منذ اليوم حديث  
الناس في انديتهم وسمرهم . يسخرون مني ويستهيون بي . فأفيلوني من  
ذل لم استوجه بهصيان . فيأتيه البشير من عند السلطان يحمل وسام  
الافتخار المرصع . فيرجع فريد داعياً شاكراً

ثم تحاصر عيون الظالمين وارصادهم بيوت المخلصين مثل المشير  
فواد والفريق احمد جلال الدين ويتسع مجال الشر لفهم ومحمد ابي الحية  
وابي الهدي ومحافظ غلظه سراي وناظر الضبطية . فيا من رأى عاصمة  
ملك تقاسم هدمها الملك والرعية

لطني على فروق في تلك الايام السود . عروس في نعش او جنة  
يملكها الحريق . لو وفيت الايام باماني الجبار لنال من فروق ما نال نيرون

من روما . ولقد فعل . والفرائز أكثر تشابهاً من الوجوه وحوادث هذه الحياة تستعاد مختلفات . والتأملات قاصرة والعقول حيارى وصحف التاريخ أهلت الكثير وحدثت بالقليل

## وداع فروق

ودع (فروق) لقد أجدّ فراق  
هي وقفة بين التعلل والأسى  
أعط المنازل حقها يوم النوى  
واستبقِ شرك للقاء اذا دنا  
قد كان شوقاً ثم نوت بحمله  
يا عاشقاً لم يدر ما جهد الهوى  
اكتب شجونك فالشعاع يراعة  
فمسي يسوق الدهر ما سطرته  
السابقوك الى المصارع أدركوا  
فاغلب بعزمك امر حزمك وانصلت  
رقات دموع قد جرت لفراقهم  
أما الجفون فما بها متشهد  
والروض موثي الطرائق زاهر  
والطير في دوحاته متجاوب  
وجد السلو الواجدون وهكذا  
سيفيق من سكر الصبي نشوانه

ماذا تطيق : هل الوداع يطاق  
يفنى الرجاء ويخذ الميثاق  
هذا الفؤاد وهذه الأحداق  
حسب النوى ما تنشد الآماق  
فلتنظرن ما تصنع الأشواق  
أرأيت ما يتجرع العشاق  
والبحر حبرٌ والسما أوراق  
لبنيه بعدك فالشجون تساق  
غاياتهم ولك استجد سباق  
تلحق بهم عصبى المجد لحاق  
لم يبق دمع بعدهم مهراق  
أما القلوب فما بها خفاق  
أبدأً وسائغ مزنه رقرق  
والبان في اثلثه مطراق  
كأس الهموم تعاف حين تذاق  
فالسابقون قد انتشوا وأفاقوا

استودع الله الرفاق جميعهم ولسوف يتبع الرفيق رفاق  
هذا كلام ودعت به (فروق) . قلته حين اختفت عن عيني . وإنما  
يجيش الشعر في خاطر الشاعر بمثل تلك المواقف

على ظهر قصر سابج . في لجج البسفور . بين شطي اوروبا وآسيا .  
من الوطن المحب الى غاية مجهولة . فراق أهل وولد . من غير توديع ولا  
تسليم . كل ذلك تحت ليل كأنه ظل الشقاء وسماء نخاطر الواله . في  
حيث تترامى تفاريق نور على البيوت كبسات ارواح المظلومين من  
وراء حجب الوجود . لقد كنت شاعراً في ظلمك يا عبد الحميد

ودعني الرجل الملكي وبقي معي رفيقه الضابط ورجل من  
الجواسيس . فلما استقرت بنا المجلس التفت الضابط نحوي . فقال :  
- لا تهمن نفسك . ان ترى في سفرك هذا الاًخيراً

فدخل الجاسوس في الحديث وجعل ينظر الى وجهي نظر الشامت  
ثم رأى ان لا يكتمني ذلك . فقال

- وما يهم البك من سفره هذا . لقد لقي جزاءه . ولو تدبر الأمر  
لكفى نفسه أجزائها اليوم . كلنا عرفنا ان سيكون مصيره الى مثل ما هو  
فيه الآن . قضاء الله وقدره ولا حيلة للمرء في قضاء الله وقدره . ولقد كان  
البك كثير الاعجاب بنفسه . يحترق الدنيا ومن عليها . فكم مررت به في  
اختياله وكبريائه فازدرائي وأعرض عني بوجهه . ما حسبته نسي ذلك . قلت :  
- ومن تكون ويحك . هذا وجه انكره ولا اذكر اني بليت بشؤمه

الأ في يومي هذا

- عجباً . تبدي التغابي عني وانت اعرف بي من ذات نفسك

فادر كني مثل الجنون من عناد الرجل وكدت أهوي على وجهه  
باطمة تهشم انفه وتهشم ثناياه . غير انني استحييت من نفسي ان لا اكون  
مالكاً لفيادها في مثل تلك الساعة . فزجرتها فازدجرت . ثم قلت  
للجاسوس :

- لو كنت عرفتك لئالك مني ما نال اخوانك

- كأني بك يومئذٍ حاملاً عليّ بعصاك تريد ان تضربني . اما لتلفيتك  
كما تالقيت غيرك . فان اقدر عليك اثار لنفسي ولاخواني وان تقدر عليّ  
فتحن قوم لا يضرنا الضرب ولا يؤذينا الهوان . فبقيت باهتاً مما اسمع  
من كلام الرجل . فتركني في حيرتي واقبل على الضابط يحادثه . فقال :

- كان البك منذ عامين يقطن داراً بجوار سفارة المانيا . وكان له  
ود مع الامير محمد باشا نجل الامير عبد القادر باشا الجزائري . وبيتاهما  
يومئذٍ متجاوران . فجاءني الأمر بمراقبتهما . فكنت اقضي اكثر اوقاتي  
بين المقابر الكائنة امام السفارة ولكن على غير طائل . فلما اعيتني الخيل  
وخفت ان لا اعرف من امرهما شيئاً . تلطفت في المكروحتي تمكنت  
من الاستخدام في بيت الأمير . فاستبشرت خيراً . وما راغني الا هذا  
البك داخلاً من باب الدار في اصيل يوم يتبعه رجل من الاجانب . فلما  
رآني البك انكرني . عرفت ذلك في نظره الشذر ولكنني لم ابد شيئاً  
سوى ظاهر الحرمة والتوقير . فسرت بهما حتى ادخلتهما على الأمير  
وخرجت فوقفت وراء الباب استرق السمع . فكان هذا البك يخاطب  
صاحبه الاجني بالفرنساوية ويترجم للأمير بالعربية . فقد غاظني والله  
ذلك وكادت روحي تخرج من شدة الغيظ . واني لفي غيظي واذا ثلاثهم

يضحكون ضحكاً عالياً . تخيل الي انهم يضحكون مني . نخلت عنهم  
ونزلت كاسف البال والله يعلم ما كنت أقول عند نزولي  
وقد أراد الرجل أن يسترسل في حديثه لولا ان قاطعته . فأقبلت  
على الضابط وانا ارتعد غضباً . فقلت :

- أهكذا دأبكم . تبعثون بمثل هذا الرجل الى الناس ليبالفوا في  
تعذيبهم وهم يحتضرون . كفى . كفى . لقد أحسن القيام بما عهد به  
اليه . أما أنا فكما ترى . أتطلب الصبر فلا أجده . لا تخرجوني فما  
بالقلب جهد فيحتمل

فأيقن الضابط ان الاناء قد امتلأ وعرف ان لنفوس المكربين  
ثورات تعي على محمديةها . فعدل بالرجل جانباً وسمعتة يقول له :

- اذا لم تخرج الساعة من هنا خرجت انا وتكون انت مسئولاً عما  
يقع من الامر . فذهب عنا ذلك الجاسوس وكانت ساعة سفر الباخرة  
قد دنت . فأسرع نحوي الموكلون باخراجي من الوطن وأخذوا يودعونني  
وداع القالي وأوصوا بي الضابط ونزلوا . ثم صفرت الباخرة صفيرها  
وانبعثت من جوفها زفيرها . ثم تمايلت ذات اليمين وذات الشمال . ثم  
دارت الى ناحية البحر الاسود فدارت دواليها وقمعت أضلاعها وتوالت  
هزاتها . فسألني صاحبي الضابط ان اصعد معه الى سطح الباخرة ووافق  
ذلك هو في النفس فصعدت . واذا نحن نسير بين منظرين ما تفتحت  
الأعين على أحسن منهما . شطي آسيا وأوروبا . يتناغيان بالمصاييح .  
عاشقان ضنت عليهما الاقدار بالتلاقي . مررنا بهما أم مرآبنا . لا أعلم .  
صحائف أجاد الحسن فيها منمقة . نشرت فانطوت . زلت عنها الأبصار

وصافق عنها الفهوم . فرائيها متخيل وعارفيها متوهم . ما شك ناظر الى  
السماء واليها ان تلك المصاييح كواكب سقطت عليها . عهدي بها في  
حالتها . ينهاهي عرين اذا بها كناس . يخالط فيها كل زئير ليث عندلة  
عندليب . تتجاوز بها مسارح آرام وه مصارع كرام . تسقى من ماء معين ومن  
دم مهراق . تظالمها وجوه ضاحكة واخرى مجهشة . تقسمتها مواسم الصبا  
فهي تارة مشتى وآونة مصيف وحيناً مربع . جنة يحرسها حارس جهنم .  
ففتنتني يوم لقاءها وتوشك ان تفضحني يوم فراقها . فروق يا ظلوم . خذي  
روحي فما هبطت علي الا فيك واسترجعي من انحاء الفضاء متفرقات  
انفاسي . أنت أولى بحسراتي منه . استبقي لي خاطراً احبيك به وشعراً  
انوح به عند فراقك . يا نعيي الماضي وشقائي الحاضر . ألا يضطرب ماء  
هذا الخليج مجارة لجواني . وددت لو ان ارتطم عبا به وترامت امواجه  
واغرقتنا قبل ان نجتاز ربوعك . كان بك مهدي . واريد ان يكون بك  
لحدي . هنيئاً يومئذ لحوتك ونونك ما ابقث الايام من لحم على وضم .  
ولتصرف رياحك باخريات انفاسي ولترن في ارجائك نوحاتي . الوداع  
الوداع يا فروق . وسلام الله عليك وعلى بنيك كلهم . هذا طريد جديد .  
مظلوم ياحق بمظلومين . يخرجونني منك ليلاً لأراك في ثوب حدادك .  
أمن اجلي كل هذا . كلا . بل حدادك على اختك الغزاة . انا اضيع فيك  
من دمعة على خد مهجور . انا اهون على الدهر من ذرة من ذراتك  
ضلت بين ثنيات الأثير . . . . .

اجتازت بنا الباخرة مرسي ( بشكطاش ) . فاطلع علينا من ورائها  
قصر ( يلديز ) على هضبته . وبيننا نحن ننظر اليه ونستعيز بالله منه .

إذا مدفع قد دوى ثم تلاه غيره . فعددنا المدافع فكانت سبعة . وهذه عادة فروق إذا حدث فيها حريق . فجعلنا نطلب بأبصارنا مكان النار ثم لم نلبث أن لاحت قريبة من (يلديز) وكنت اعلم أن لن تصل إليها فحولت عنها بصري وجعلت امتعه بما يتجدد امامه من محاسن فروق . ظللنا على تلك الحال حتى دأبنا باب البحر الاسود . فوقفنا عنده الباخرة وألقت مراسيها قبيل الحصون . وكنا غاب علينا الاعياء وتواكلت اقدامنا من طول الوقوف . فإشار عليّ صاحبي بالنزول الى موضع نومنا فنزلنا جميعاً . وحين أخذنا مجلسنا للراحة اخبرني عن اسمه فاذا هو موسى كاظم بك واعلمني بوظيفته فاذا هي وظيفة ياور لناظر الضابطة ورتبته ملازم اول . وقد وجدت كلامه لا يشبه كلام رفاقه الذين تقدموا . فاستأنست به . وعرف مني ذلك فقال :

— سترى في الولايات حياة جديدة غير التي رأيتها في الاستانة .  
ويا ليتني كنت مكانك الآن . اقول لك ذلك لاني قضيت شطراً من عمري متنقلاً في مدن الاناضولي وما مررت عليّ ساعة في تلك المواضع وشكوت منها أمراً

— كذا ينبغي ان تكون . كل موضع يبعد عن (يلديز) يقرب

من النعيم

— صدقت . وسترى مني خادماً مطيعاً وخلاً وفياً ولا أسألك من الجزاء الا ان تكون جليلاً وان تجعل ما انت فيه اليوم من محنة الدهر مغنماً من التجاريب لا مغرمًا باليأس

— سترى مني حمالاً لأثقال النوائب . صبوراً على فادحات الكرب .

غير اني سائلك عن أشياء ارجو ان تصدقني في الاجابة عنها

— سل ما بدالك

— الى اين يكون مصيري

— الى صامسون . واخال انك ستوظف وظيفة فيها

— وما تكون وظيفتي ؟

— لا أدري

— ألا أسجن فيها اياماً ؟

— لن تسجن فيها ولا ساعة واحدة

— ويحك . ما أدلك على طرق المكر . وما أغباني ساعة أملت

فيك الصدق . قم عني الى لعنة الله . لن أكلك مذ الليلة

— سيدي . أنت رجل كثير الوسواس . ولولا غلبة الجزع على

ذات نفسك ما اهتمتني من غير تجربة . شهد الله اني ما كذبتك في شيء ،

مما اخبرتك به . وسواء علي صدقت ام لم تصدق . لا احاول اقناعك .

ثم اعلم انني صحبت قبلك كثيراً من الرجال الى الاقطار التي نفوا اليها .

فما ذممني منهم احد . وهذا اسماعيل بك صفا الشاعر التركي الشهير . صحبتُه

الى سيواس . وغيره كثير لو شئت ان آتي لك على اسمائهم لقضيت الليل

في عدها

— اذن أنا لا اسجن

— نعم . وبرئت من عثمانيتي ان كنت كاذباً

— لقد قامت حجبتك . ولكن متى نفي اسماعيل صفا

— منذ عامين . أتعرفه ؟

— نعم اعرفه بأثاره . وكنت مولعاً بمجلته التي سماها ( معارف ) .  
ثم عرفني به أحد الفضلاء في إحدى ليالي السمر . وكان حديثنا غير طويل  
وقد استطلت حديثي مع كاظم بك الى ما بعد نصف الليل . فعلمت  
منه انه ابن أخي الحاج حسن حلمي باشا والي سيواس اذ ذلك وانه نفي  
وسجن وذاق أمر طعم النوائب . وانه لولا استشفاع عمه ثقات عليه  
نواده . فلما اخذنا حظنا من الحديث مال كل الى مضجعه . فما انتبهنا  
الا على هزج الباخرة وضرب الامواج . فلم نر الا الأسود الخضم في  
ازباده البيض وتحت سمائه المحتجبة وسحبها الداجية . شططنا عن المعاهد  
والرسوم وبمناقصداً لا ندري متى نحن مدركوه . فقلت لكاظم بك :

— ترى أيعلم اهل بيتي شيئاً من خبري ؟

— ذلك علمه عند الله . والقوم لا يخبرون الناس خبراً

— وما الخيلة في إخبار أهلي بأمري ليهدا روعهم ويخف حزنهم

— ارى ان تصبر حتى تنزل بصامسون . اما الآن ونحن في عرض

البحر فلا نستطيع شيئاً

هذا جواب حسن عنده سكوتي وفي النفس من برحائها ما لا ينهض  
به عزم . فبقينا في الباخرة خمسة أيام وما اتهينا الى صامسون الا اصيل  
اليوم السادس . وما مر بنا في سفرنا هذا ما يصلح للذكر سوى ان فرغ  
الفحم منا حين بلغنا ( اركلي ) وان الربان عانى الشدائد حتى حصل من  
( مورده ) ما يحتاجه . ولما بلغنا حصن ( سينوب ) اقبل علينا من الشط  
زورق يقل جماعة من الشرطة يتوسطهم رجل نحيف الجسم قصير القامة  
اصفر اللون ذو لحية سوداء تلوح عليه سيما اهل الفجور . فسألت كاظم

بك ممن الرجل فأخبرني انه مدير التحريرات في متصرفية ( صامسون )  
وان أباه انيس باشا والي قسطنطيني عدو الأحرار الفاتك بمن نفي منهم الى  
ولايته . وانيس باشا كان اشد ظالماً من عبد الحميد وهو الذي غدا  
الاسواط من لحوم المظلومين الذين وقعوا تحت حكمه حتى لقد استعظم  
ظلمه عبد الحميد وبعث اليه يأمره بالتخفيف فلم يمتثل امره . كرهت لقاء  
ذلك القادم الثقيل فتكبت طريقه . ولكنه سأل عني فقبل له اني منفي  
فدنا مني وحياتي . فحيته تحية كلها تكلف . وكان صاحبي كاظم بك عرف  
بعض طباعي فتداركنا بمحضره . ثم اشار الى الرجل وخاطبني معرفاً :  
— البك نجل صاحب السعادة انيس باشا والي قسطنطيني . وهو

مدير تحريرات صامسون

— أهلاً به

— لما سمع باسمك أسف لما أصابك

— شكراً له

فابتدري القادم بكلامه . فقال :

— انما تعرف الرجال عند الشدائد . فلا تحزن لما أصابك . ان عفو

سلطاننا مؤمل

— ما انا بحزين

— رأيت بقسطنطيني كثيراً من المنفيين . غير اني لم أحفل بأحد

منهم . ما فيهم من فتى كريم . ولقد ادبهم والدي فأحسن تأديبهم .

وانهم اليوم لأذل من العبيد

فما رددت على الرجل بحرف . بل رميته بنظرة ادرك منها مرادي .

فاخذ كاظم بك بذراعه وتحمى به جانباً . وقد رأيتهُ يؤنبه على كلامه ويحذره مني . غير انه لم يلبث ان عاودني واخذ يكلمني . فأعرضت عنه بوجهي وتركتهُ يهذي وحده . فذهب الى الربان يحدثهُ بما قابلتُهُ به من الاعراض فقال له الربان :

— ما علمنا به الا حسن الخلق . ولكنه مكروب والمكروب تضيق نفسه عن اشياء ربما اتسمت لها في ايام دعته . فلا تؤاخذهُ بما رأيت منه وانا سائله الليلة عما أنكره منك وقد وفي الربان بوعده . فسألني عما انصرف بي عن مخاطبة ابن أنيس باشا . قلت :

— هو رجل اختلفت بيني وبينهُ الالهواء . ثقل على فؤادي اول ما سمعت من كلامه . فرأى الربان ان لا يزيدني سوءاً . وكان ذلك آخر غرائب السفرة البحرية

## صامسون

لما نزلت مع رفيقي كاظم بك الى البر استقبلنا رجال من الشرطة وغيرهم وكانوا على انتظارنا . فدروا حولي وابعدوا عني رفيقي واستبقوني وحدي في غرفة من الخشب . فمكثت فيها مدة . ثم عاد كاظم ومعه اربعة رجال من الشرطة . فاركبنا زورقاً سار بنا حتى قارب دار المتصرفية . وانما اركبوني الزورق ولم يسروا بي في البر مجانبة لأعين الناس . فلما دخلنا المتصرفية صعدنا الى غرفة استرحنا فيها قليلاً وجاء بعد ذلك رجل صحبني الى غرفة المتصرف وكان اسمه حمدي بك . فاذا رجل حسن الوجه

طلقة . قام يتلقاني تلقي الصاحب لصاحبه . ثم اجلسني الى جانبه واظهر لي من الانس والاكرام ما لم يخاطر على بالي . وسألني عن سبب نفي . فأخبرته بما انتهى اليه علمي . فقال :

- هذه سبيل سلكتها كثيرون قبلك وليسلكنها كثيرون بعدك فلا تخف ولا تحزن . انت ذاهب الى مدينة سيواس وفيها يكون مقامك ما شاء ربك . ان طريقاً تؤدي بك الى النفي لتؤدي بك الى الخلاص منه . وانت في شببتك وميدان الامل اوسع للشبان منه للشيوخ . فكن جلدأ واجعل املك في جانب الله ثابتاً . ولو كان في طاقتي خلاصك مما انت فيه لاغنيتك عن الصبر . غير اني استطيع ان استبقيك بصامسون ثلاثة ايام الى ان يشتد عزمك وادعك حراً تسير فيها كما تريد على ان يصحبك احد رجال الشرطة حينما توجهت

فشكرته بما هو اهله . وقلت له : اني احب التعجيل بالسفر . فدعا بكاهم بك وكبير الشرطة وامرهما ان يفرجاني على البلدة . واوصى بي كاظم بك خيراً . فخرجت من عنده متحدثاً بمكارم اخلاقه

فذهبنا الى احد الخانات وطلبنا الى صاحبه ان يعد لنا غرفة نيت

فيها . وحين خلوت الى كاظم قلت له :

- أرايت كيف ظهر كذبك

- اي كذب ظهر لك مني

- ألم تقل لي ونحن بالباخرة اني أنفي الى صامسون . وقد اخبرني

المتصرف اني انفي الى سيواس . ما حملك بالله على ان كذبتني . وهل

صامسون احب الي من سيواس . كلا البلدين انا فيه غريب

- لو عرفت منك ذلك لاخبرتك اليقين . غير اني خشيت عليك الكمد . فاخترت الكذب ولا فائدة لي فيه
- دع ذا . اني اريد ان اخبر اهلي بما انا صائر اليه
- لا سبيل الى ذلك . امرت ان لا ادعك تخط حرفاً على قرطاس وانت لا تحب ان يصيبني اذى بورقة لا تعلم اتصل الى اهلك ام لا تصل
- صبر جميل . ان لي في اسماعيل صفا لاسوة وان لي في قربه لسلوة ثم انا جلنا في البلدة ليلاً . وجي ، برجلين من الجندرمة فلما معنا في الغرفة . فما انزاح نقاب الليل عن وجه النهار الا وقد اعدت لنا عربة كعربة النعش يسمونها ( يايلي ) . جعلوا لنا بها ما نحتاج من فرش وغطاء فخرجت من صامسون توأم سيواس

## كتاب الى الصديق الأوفى

رفيق التلمذة

سيدي

اجلك ان يصيبك هذا القلم بسنانه . واجل هذا القلم ان يكمن في شقه الخمد او ان يثار لي منك . لا آخذ الله من اجلي احداً . وليهني ، مبغضي ما اصابني من ضر . فهب لي من لدنك انصافاً يكون لك معواناً على قراءة كتابي هذا . لن اقاضيك الى الناس بل اقاضيك الى ذات نفسك . اما لتقضين لي عليك . حجتي عليك قائمة وما لك علي من حجة انفذت فلاناً يأخذ كتاباً أنا بعثت به الى فلان . ثم جعلت ذلك

الكتاب سبباً لنفي سبعة اعوام . حتى شلت انا ملي وبج صوتي وجفت  
يتابع خاطري . فهلا ذكرت ان للمظلوم رباً يسمع اينه من اعماق  
السجون ويرى دموعه في ظلمات الليالي

هذا يراع ملكته ولا فضل عليّ فيه لغير الله الذي براه لانا ملي  
وبراني لصريه . سيرته في خدمة امة باد اكثرها بظلم الظالم وبأكيته علي  
احرار اسكنوا الأجداث ولم يمتعوا بالشباب . اكان عليّ في ذلك بأس  
ام انا صنعت ما ينبغي عليّ الحران يصنعه

ليتك كنت طيب الشائل فاجبك كما اريد ان اجبك . وليت  
اساءتك كانت وفقاً عليّ ولم تتعدني الي اخواني . اذن لا اتخذت منك  
تلك الاساءة احساناً ولاقت عليّ ودك ما أقامت في جسمي الحياة .  
لست اشنأك . فاني لا اعادي انساناً . ولكن دلني عليّ قلب احمله محبتك  
واكرهه عليّ قبولك . عفا الله عنك وتجاوز لك عن حقي . ما اريد تأنيباً  
ولا اطلب لك شيئاً تبغضه . فلتجد عيناك بدموع تغسل عن قلبك حب  
الانتقام وليهدك الله مذ اليوم حتى تداوي بآتيك ما جرحت بماضيك  
كاتب المعلوم والمجهول

الحمد لله كثيراً . نفست عن فؤادي هماً واغلاً . اذا صرت اقرن  
الي هذه النظائر العالية فقد عفوت عفو قادر . والقدره بيد الله . لا من  
ولا سرف . غير اني ما كنت احسبني أحيا الي مثل هذا اليوم

## الى سيواس

أبها الركب سر فان امامي      لبعاداً مرّاً وعيشاً أمراً  
غربة هذه وقد كنت ادري      أن سأرى بها لدن كنت حراً  
فالفحي يارواسي الأرض ناراً      وافضي فدافد الأرض بحراً  
وانفحي يا ربح الشمال سموماً      واقذني يا سوائر الافق صحراً  
أنا ارضي بذأ لحب بلادي      وأرى في سبيلها الموت تخراً

ركب حثث نجبه البين . يهوي المخارم هوي الاجدل . ويترقى  
الشم ترقى العقاب . تستوقفه الحوائل وتستطرده المسالك . ما يخلص من  
وحل الا يفوص في ثلج . لاخشابه صريف ولعجلاته ديب . كذا مرّاً  
يومنا حتى حملنا اول منزل في مكان يقال له ( جقاللي ) . فيعمنا احد  
خاناته وأوينا الى غرفة من غرفه . فنزل كاظم بك ليستحضر عشاءنا . وكان  
الرجلان من الجندرمة صحباننا . فرأيت على حيطان الغرفة من الكتابة ما  
يملاً الكتب . فقممت لأقرأها . واذا هي مكتوبة بالتركية والافرنسية  
والرومية وغيرها من اللغات . كل من نزل ذلك الخان كتب على حيطانه  
شيئاً . فكلام يستعذب وكلام يعجبه الذوق وكلام يضحك وكلام يبكي .  
ثم وقع نظري على بيتين للشاعر الجليل اسماعيل صفا . كتبها بيده بقلم  
الرصاص وتحتها توقيعهُ . نحقق فوآدي طرباً ووقفت أنشدهما وهذا  
معناهما : مثل هذه الدار كمثل الدار الدنيا . ينزل اليها الناس ليرحلوا عنها .  
ما تأخذ منهم سوى زفراتهم . ولا يأخذون منها سوى حسراتهم . غير  
ان الراحل عن هذه قد يعاودها اما الراحل عن تلك فلن يعاودها ابداً

ثم رأيت تحت ذينك اليتيمين كلاماً منشوراً وهذا معناه : ما أعدى  
حوادث الايام . كنا نرجي ان يعيش لنا اسماعيل صفا ليكون خير خلف  
لنامق كمال . ولكن قضى الدهر ان ينفي الى سيواس مظلوماً وان يوسد  
التراب بين تلك الجبال . ولم استطع ان أقرأ توقيع الكاتب لانه بالغ  
في ابهامه

هنا ادركني من الحزن ما لا اقدر على وصفه . أمني النفس ببقاء  
فاضل تخط دونه الاشباه والنظائر وحرر كان في حرته قرّة عين الوطن .  
ثم يقدر لي ان اسمع أنينه من الصخر الاصم ثم ينعاه اليّ من لم يعلم من  
امري شيئاً . ألا اني لعائر الجد . كاذب الامل . ألا ان ريب المنون  
قد رمى فاصاب كبداً ما الى الحرية شيء أعز منها . ليت ذلك المكان  
أطت اركانه وتصدعت جوانبه وتساقطت عليّ احجاره ولم أتبين على  
صفحاته هذا الخبر . جادك الغيث وأنت ثراك اطيب الزهر يا مشوي  
اسماعيل صفا . وليدم ذكرك على افواه العثمانيين طيباً تتعطر به الافواه  
وتطرب به الاسماع . ان لك على الادب واهله لفضلاً . وان من حقك  
على ابناء وطنك ان يذكروا ايديك على وطنهم . رحمة الله عليك . رحمة  
الله عليك

تجلدت وكيف يتجدد من شجاء مثل شجاي . غربة وفراق أهل  
واولاد وروعة تستطير القلوب من الصدور . وينا أنا في تلك الحال اذا  
كاظم بك داخلاً من الباب وخلفه الجنديان . فلما رأني مستعبراً وقف  
امامي باهتاً لا يدري ما يقول . فتداركته بالجواب قبل سؤاله واعلمته ما  
احدث في قلبي موت اسماعيل صفا . فقال :

- ان موت اسماعيل صفا ليس بالأمر القريب . بلى انه مات منذ عامين

- ما علمت ذلك إلا الساعة . ولكن ناشدتك الله ما يدعوك الى كتمان الصواب عن الناس . ألم يجر بيننا ذكر الرجل ونحن بالباخرة . فما كان ضرك لو اخبرتنى بموته اذ ذاك

- ما كان يجديك علمك بموته . ا كنت قادراً على ان تبعثه حياً ؟ دع ذكر ما يشجيك واستبق عزمك . ان امامنا لطريقاً صعباً وسفراً بعيداً قلت في نفسي ما اخبرني هذا الرجل خيراً الاً ظهر لي كذبه . واخشى ان يكون كذلك ما اخبرني به عن مقامي بسيواس . هو يزعم ان لن اسجن . فاذا أنا سجت فماذا أقدر ان اخجله به . وكان الجنديان فرغان من اعداد طعامنا . جلسنا نتعشى وأنا صامت . وكأن كاظماً فطن لما أنا فيه فاختر ان يدعني وشأني . فاعجبتي منه فطنته . وما فرغنا من الطعام والتدخين الاً وقد اتقل النوم هاماتنا فقمنا . فما اتبهننا الاً على اصوات المسافرين قبيل الفجر . فاخذنا اهبتنا وجاءنا جنديان غير اللذين صحبانا الى جقالي . اخذاً منهما النوبة واخذنا كلنا في الطريق . وهذه اسماء المنازل التي نزلناها من لدن ان خرجنا من جقالي الى ان بلغنا سيواس . اذ كرها مع طرف من تاريخ بعضها . وكنا نرحل عن المنزل الذي نبئت فيه قبيل الفجر ونبلغ المنزل الذي يليه اصيلاً او قبيل المغرب

( حوضه ) بلدة صغيرة انيق منظرها متشاكله بناياتها . بها حمام يستشفى بمائه الحار . بناه ممدوح باشا الذي كان ناظر الداخلية في اواخر ايام الاستبداد . فأجاد بناءه واحكم نظامه . ولقد دخلته واغتسلت بمائه .

غير اني لم أقدر على نزول حياضه لما في مياهها من الحرارة الشديدة . فانها تبلغ الدرجة الخمسين بميزان سنتيفراد ( اماسيه ) هي مدينة في الشمال الغربي من سيواس . تبعد عنها خمسة وسبعين ومائة كيلومترو في الجنوب الغربي من صامسون . تبعد عنها اربعين ومائة كيلومتر . مكانها هو المرتفع الكائن في (  $50^{\circ} 39' 43''$  ) من العرض الشمالي وفي (  $15^{\circ} 24' 33''$  ) من العرض الجنوبي . على يمين النهر المسمى ( طوزاني ) بحيث يتلاقى به نهر ( ترس آقان صو ) . عدد اهلها خمسة وعشرون ألفاً . سبعمائة منهم من الأرمن ونحو المائة من الروم وما بقي فن الترك

هذه مدينة آماسيا الشهيرة بفاكهتها وجودة ارضها وكثرة اطلالها ورسومها وآثارها ومعاهدها . وهي من المدن القديمة وفيها ولد ( سترابون Strabon ) وهو احد مشاهير الجغرافيين من قدماء اليونان . وولد بها السلطان سليم الثاني المعروف بياوز . وقد فتحها السلطان بايزيد الاول وانشأ بها جامعاً ومدرسة وجسرين على النهر . وكل ذلك باقٍ على جده وروائه الى يومنا هذا . وتعلم في تلك المدرسة السلطان محمد چلي والسلطان بايزيد الثاني

وفي آماسيا مقابر بعض الامراء من بيت الملك العثماني . ودفن بها من الملوك السلاجقة ( قيلج ارسلان الاول ) ومن وزراءهم ( معين الدين بروانه ) والشيخ حمزة والد ( آق شمس الدين ) وغير هؤلاء . ولما كانت آماسيا لا تبعد عن حوضه الامسيرة ست ساعات بلغناها غير متأخرين . فكان لنا في الوقت متسع لمشاهدتها والامام ببعض

محاسنها . على اني لم اجد فيها من المناظر ما يبعث على الطرب او يهيج ساكنًا في الفؤاد . ذلك لاننا جئناها في اواخر كانون الثاني واشجارها مجردة من ورقها وارضها معرأة من نبتها والوحل متراكم في طرقاتها . وكان متصرفها اذ ذاك العالم الكبير المرحوم كمال بك وهو غير نامق كمال بك الشهير . وكان منفيًا اليها . فأحبينا زيارته ثم علمنا انه مريض . فزاره كاظم بك وحده

ومما اذهل عقلي اني رأيت نساء الارمن والروم في اماسيا متحجيات . يهادين ساحبات ما زهرن كما تفعل نساء المسلمين . فايقنت ان المرأة العثمانية في تلك البلاد محرومة من نعم الدنيا . فتجددت لوعاتي وتضاعفت احزاني . وقلت ما قاله أبو الطيب المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم  
ثم عاودنا الخان الذي نزلناه فاذا جماعة من كبار المدينة جاؤا لزيارة كاظم بك لانه ابن أخي الحاج حسن باشا والي سيواس . فجعلوا يتنافسون في اكرامه والتقرب اليه . وفيمن جاءنا يومئذ ابناء طوبجي زاده وهم فروع بيت من بيوتات الحسب الزاي في تلك البلاد . وقد أعدوا لنا مأدبة بلغت الغاية في بهجتها واهدونا من تفاح اماسيا المشهور شيئًا كثيرًا وحملونا جانبًا منه هدية للوالي . فسأني كاظم بك ان انظم بيتًا من الشعر التركي اكتبه على حائط الغرفة التي بتنا بها . فأجبتة الى ما اراد وقرأه اناس كثيرون ممن قدموا بعدي سيواس واخبروني به . وكان يخيل اليّ ان سأرحل الى بلاد مثل اماسيا . هيهات . اخطأت الظن وخاب الأمل فاسارت بنا العربية الأبين صخور وعلى حجارة لا نستجلي عندها خضرة

ولا نرد ماء الا كما قال الشاعر :

صرى آجن يزوي له المرء وجهه اذا ذاقه الظآن في شهر تاجر  
( چنكل ) هو منزلنا الرابع بعد خروجنا من صامسون . موضع  
تبصرت فيه فلم أرى بيتاً ولا سكناً سوى الخان الذي نزلناه . وهو على  
سفح أكمة هناك . بنيت دار المسافر تلك . ففر جرداء موحشة . لا يلم  
بساحتها طير ولا يقبل في مهادها نبت ولا يظلمها سحاب ولا تهب عليها  
صبا ولا يسجع بها طير . بلغناها وقد بلغت الشمس مغربها . فلما فرغنا  
من الاستعداد لحاجات العشاء خرجت الى مكان بالطبقة العليا من الخان  
اريد ان اتمشى . وقد خلت ذلك المكان مستشرفاً . فاذا هو لا يشبه  
المستشرف فقلت : تظن انت يا عبد الحميد في قصر يلديزين بنات  
الجركس . تقتل الامة وتضحك من عقول الناس وترمي بي في هذه  
الفجاج لأفيس لك جبال الاناضولي ووهادها . ألم تجد احداً أعلم مني  
بالمساحة . انك لقليل الخبرة بالهندسة

ثم دعاني كاظم بك الى المائدة ونفسي لا تشتهي الطعام . فجعلت  
أكل لا رغبة في الاكل بل ابقاء على قوة استعيني بها على مواصلة  
الاسفار . فلما رفع من بين يدينا الطعام وملنا الى تلك المضاجع الخشنة  
طار نومي واعتادني أرق شديد . وماراعني الاجنود من البق تدب الي  
من كل ناحية . بق غذي انواع الدماء حتى اتسع وانبسط وعادت كل  
واحدة منه كطابع البريد . تدبخر على الوسادة تجتر الفقيه في الجازة .  
فقمتم الى خوان في وسط الغرفة عليه مصباح ضئيل النور . واذا صاحبي  
كاظم قائم الى جانب النور . باحدى يديه قيصه وبيده الاخرى عود يحذف

به البق . قلت : مالك . يارفيق الخير؟ قال : دعني . ألا ترى ما أنا فيه ؟  
قلت : لا عليك بأس . افسح لي مكاناً الى جانبك . فد صار القميص  
قيصين . ولئن دام لنا ما ترى خرجنا هائمين في جنح هذا الليل . ثم  
سكت كلانا واشتغل عن صاحبه بالتقاط الحشرات . ولبئس العقود عقود  
نظمتها تلك الليلة حتى آذنت برحيل . فما خفت راية الشفق على قمة  
الجبيل إلا تبادرنا الى السائق نوقظه بالأيدي والأرجل . ثم نبهنا الجنديين  
الحارسين وخرجنا من الخان بعد ان دفعنا لصاحبه حقه . وما ادركتنا  
العربة الا وقد قطعنا شوطاً بعيداً وغصنا في الوحل والثلج الى الركب .  
وحين اعتدلت الشمس في عليائها تهاوت تلاع جنكل برؤوسها وحيل  
بينها وبين الشهود . وطاب بعد ذلك السفر فانطلقت بنا العربة تشتد  
في سيرها يومنا كله ميممة ( توقاد ) . فوافيناها في عتمة المساء

( توقاد ) مدينة كائنة على مسيرة تسعين كيلومتراً من شمال مدينة  
سيواس وعلى الشاطئ الأيسر من نهر ( توزانلي ) . يبلغ عدد سكانها  
اربعين ألف نسمة . خمسة آلاف منهم من الأرمن وغيرهم من اخواننا  
المسيحيين . هذه المدينة جيدة التربة طيبة الهواء . عذب ماؤها جيم  
خصبها . تلتف حولها الحدائق الموثقة والكروم الوافية وهي معروفة  
بكثرة فاكهتها وبقليها . منظمة الأسواق والشوارع . غير انها ليس بها من  
آثار السلف سوى حصن خرب فيه السجن المشهور في كتب التاريخ  
واسمه ( جارطاق بدوي ) . ويذهب اكثر المؤرخين الى ان توقاد من  
المدن القديمة وانها هي المدينة المسماة عند القدماء ( بريسه ) او ( قومانة  
بونتيقة ) وقد ذكر المستعصي توقاد في معجمه . ولأهل هذه المدينة

مهارة في صنع الأواني النحاسية ونسج الحرير وتطريزه وبضاعتهم  
معروفة بالجودة

فلما نزلنا الخان واخذنا بمض الحظ من الراحة خرجت مع كاظم  
بك نريد زيارة المتصرف . وكان المتصرف رجلاً من خاصة الجراكسة  
اسمه بكير باشا . فاذا دار آهله كل اهلها جراكسة وكلهم مقيمون على  
بدويتهم . فتلقونا على الرحب والسعة وادخلونا الى مجلس الباشا بلا  
استئذان . وكان بكير باشا يعرف كاظماً ولا يعرفني . فسماني له وقص عليه  
قصتي . فرجع الرجل موضعي واقبل يحادثني اطيب الحديث . ثم اخذ  
يقص على جماعة كانوا عنده بعض اخبار البيت اليكني الذي انا منه وهو  
في كل حديثه يثني اجل الشاء . وقد قال للقوم . ايكون مثل هذ خائناً .  
ام يعاقب مثله بالثني . فقال كاظم بك : ان والدة فلان جركسية ووالدة  
ايه جركسية . فبسم لي وقال : اصادق صاحبك قلت نعم . قالت : فأت  
تركي جركسي معاً . كفانا الله شرك . واخذ يلاطفني ويمازحني كأنني  
كنت صديقه منذ القدم . ولما هممنا بالانصراف دعانا الى مأدبة اعددها  
لنا . كانت كأحسن ما يستطيع في ذلك المكان . وقال لكاظم بك : لن  
تبرحونا غداً . انكما ضيفاي . وقد اخبرت الوالي بذلك تلغرافياً فرضي .  
فخرجنا شاكرين . وكنت احب ان ابغ سيواس غير متأخر لاجد حيلة  
في مراسلة اهلي . غير اني كرهت ان اخالف بكير باشا فأقابل احسانه  
بالكفران

وفي اليوم التالي طلفنا توقاد وولجنا دورها ومشينا في ازقتها ورجعنا  
مساء الى بيت المتصرف مع رسول كان انفذه في طلبنا . فودعناه واثينا

على بشره وأكرامه . ثم أصبحنا فتوانى الوجهاء الى الخائف يودعوننا  
ويظهرون الاسف على فراقنا . فقلت : يا عبد الحميد تريد ذلي ويريد الله  
عزي . دام انك راغماً

فخرجنا من توقاد على عادتنا مبكرين والطير في وكناتها . فجعلنا  
تسئم الهضاب لا يتخلل صعودنا انبساط ولا انحدار . حتى رفع لنا شامخ  
ذو هضبات . متصل الذرى بالسحاب . تعالته تلال من الثلج كالقطن  
المندف . أشم . صعب المرتقى يقصر دونه الجهد ونحل في ترقيه العزائم .  
تتظالع فوقه الجياد والعربات كأنها تسبح في سحاب جامد . قلت  
لصاحبي : ما هذا الذي نرى ؟ قال :

— هذا ( جاملي بل )

— ما زدتي علماً

— وما تريد ان تعلم منه . شاهق من شاهقات الاناضولي توسط

بين ( يكي خان ) وبين توقاد . وستعلم ما هو حين نطلب ذروته

— وما حاجتنا الى هذا النصب . أعندنا سعة في الوقت فنضيعها

بالتوقل في هذه الجبال ؟

— ذاك ما لا بد منه . فقيه طريقنا الى ( يكي خان )

وفيا نحن نتحدث اذ هبت علينا ريح صرصر نفذ بردها الى عظامنا .

ثم علت في الافق غبرة حتى لخييل لنا ان ذلك الشاهق يحثو على رأسه

الثلج بدلاً من التراب . فاستوقف السائق العربية ونزل عنها وراح يتأثر

الطريق . فلما رجع سألناه عن الخبر . فقال : التبتت المسالك ولا أدري

أية أسير . فتقدم الجنديان اللذان كانا معنا بجواديهما أمام العربية

واشارا الى السائق ان يسير خلفهما . وما هي الا مسافة خمسين متراً في سفح الجبل . قطعناها في كد واعياء . فما راعتنا الا هزة كادت تستطير كل واحد من مكانه . فوثب صاحبي الى الارض وبقيت في العربة وحدي . فالت الى جانب ميئة فتدحرجت بي الى حفرة هناك . وقد تعجلت بوثة لم احسها . فوقت غائصاً برأسي في الثلج وبقيت رجلاي في الهواء . ولولا السائق والجنديان لمت في موضعي محتقناً . وما ادركوني الا بعد ان سفت الثلج سفاً . وحين فرغ رفاقي من انهاضي ونفض ثيابي اخذوا يماجلون العربة ليقيموها وهم لا يستطيعون ان يصنعوا شيئاً فتقدم الينا الجنديان يعرضان علينا جواديهما . فامتطى كاظم جواداً وامتطيت جواداً وسرنا نطلب ذروة الجبل . فلما اتتهينا اليها رأينا خاناً واسعاً فيه جماعة من فرسان الجندرية كانوا ينتظرون قدوم البريد وآخرين من المكاريين . فتلقونا وانزلونا في الخان وانطلق رجال منهم بالجبال وبالجياد الى الموضع الذي تركنا فيه رفاقنا . فجأوا بهم وقد اضناهم ما كابدوا اما انا فقد سكرت بغير راح . حرارة الكانون بعد برد الثلج . هذا ما لا يطاق . وكان الذين في الخان يعلمون ما في ذلك من الضرر . فأجلسوني ورفيتي بعيداً عن الكانون . ثم اصبنا طعامنا واخذنا حظنا من الراحة ساعة او ساعتين واستأنفنا المسير . لم نستشعر ضنى ولا اعياء . شتان ما بين ارتفاع وانخفاض . أنبسطت لجايدنا الأرض وسهلت فقطعناها الى ( يكي خان ) وكأننا مشينا على الديباج . ولا انسى موقعي على ذروة ( چاملي بل ) . بين فسيل الارز وكأنه باقات زهر منتشرة على ملاءة بيضاء منشرة . نظرت الى ما حولي . نخيل اليّ اني على روق

سحابة جامدة . ثم نظرت عند انحدارنا الى قرارة الوادي . فضاء رائد  
الطرف بين اختلافات الألوان والأشكال . الماء كالزجاج وجوانب الوادي  
كالطبق الصيني واخضر النبات واصفره كالنقش على ذلك الطبق . وقد  
برد الهواء حتى اصبح كقدح من البلور ا كفى علينا . فلما توارت عنا  
الشمس . تبدي لنا ( يكي خان ) . وهو قضاء اناف عليه جبل في شرقه .  
منعه مصابحة الشمس . صغير بارد ولكنه غير قبيح المنظر . فقضينا ليلتنا  
في حديث وسمر وتجددت فينا العزائم اذ كان منزلنا هذا آخر منازلنا الى  
سيواس . وقد شرد السرور النوم من الاجفان ولو نمنا لهنأنا نومنا ولاطمانت  
جنوبنا . هنالك خانات نظيفة لانت مضاجعها وطابت حجراتها . فلا تقاس  
بالتي نزلناها من قبل

تطاول علينا الليل واشتد قائمه . فأقمنا تحت سواده نتعلل بالأمانى .  
ثم رق اديمه وخف حنديه فبدت تبشير الصباح . فنهضنا نهضة رجل  
واحد ورمينا بأبصارنا جادة سيواس وانطلقنا مسرعين . وبيننا نحن في  
بعض الطريق اذ التفت صاحبي نحوي باشأ مواً نساً . فقال :

— الحمد لله على السلامة . ادر كنادار المقام . وسترى من سيواس  
بلداً طيباً فلن تطيب لك مبارحتها . غير اني ابغض منها كثرة اشجارها .  
حيثما تسر في شوارعها تلق اشجاراً صفت على جانبيها حتى اشتجرت  
الاعصان بالاغصان واشتبكت الاوراق بالأوراق

— وتبغض مثل هذا الشكل . يا كاظم بك . أما انك لخائر القلب

لا تدري ما تحب ولا ما تبغض

— أنا لا احب الشجر الكثير . على ان في سيواس اشياء تطربني

- وما هي ؟

- ملاعبها وحاناتها

- ومن اين لها ذلك ؟

- وما تعجبك ؟ ألا تعلم انك قادم على ولاية من الولايات العثمانية

الكبرى ؟ ولسوف ترى من المحاسن ما يسرك . واني لخائف عليك منها

ان تستهوي لبك . نخذ لها أهبتك منذ اليوم ولا تدع قلبك مجزءاً بينها

- لقد أذرت فاعذرت . وما للشباب في بقية تنفق . ذهبت الايام

بجدته ونضارته وان أنا في الحياة الا ضيف دنا أو ان رحيله

والى هنا عاودنا السكوت فأخذ كل يفكر في شأنه الى ان دأبنا

الضيعة الحميدية المسماة (نمونه جفتلكي) وهي تبعد عن سيواس مسافة ثمانية

كيلومترات . فلما رأيت بأسقة الاشجار على جانبي الطريق أيقنت ان

صديقي كان صادقاً في قوله . وما حاذينا مدخل الضيعة الا ألفينا عربية

الوالي على انتظارنا ومعها جماعة من رجال بطانته مثل ياوره الخاص ملك

افندي ومثل مأمور التلغراف الخاص . فدنا منا وبلغونا سلام سيدهم

وقدموا الينا العربية لتتحول اليها . فنزل صاحبي وآثرت البقاء مكاني اذ لم

اكن على هيئة تصلح لركوب تلك العربية وسرنا ميممين سيواس .

فبلغناها بعد سير استمر ساعة ونصفاً من الزمان

## سيواس

استقبلتنا سيواس بوجه أريد . ما اجتزنا صفوف أشجارها المتكاثفة عند مدخلها الا تلقطنا أعشاشها الترية وأزقتها الموحلة . فدارت العجلات فوق مهاد تراكت عليها الثلوج والحجارة وتخطت حفراً لكل غوصة في احداها جهاد يستنفد الساعات ويذيب الهمم . وقد عرتني هزات ليست هزات تطرب ولا هزات ثمل . انستي ما تقدم من مثلها في سفرنا كله . وكان دخولنا الى سيواس يوم الجمعة ١٤ فبراير سنة ١٩٠٢

فذهبوا بي الى مكان قالوا لي انه الخان . وافتمدت صاحبي فلم أجده . فامتنعت عن نزول الخان وقلت : بلغت الروح الخلقوم . لأن تقع السماء على الأرض أهون علي من ان اطيعكم الى دخول السجن مرة اخرى . تكاثروا وغالبوني . لن تدخلوني حياً . فجعل القوم ينظر بعضهم في وجوه بعض ولا يفهمون ما اريد . ثم اقترب مني أحد ضباط البوليس متأدباً محتشماً وقال : ما لسيدي لا يتفضل بالنزول الى الخان ؟ قلت : ما هذا بخان . ان هذا الاسجن . قال : اذا كان هذا الخان لا يرضيك فاختر غيره ومرنا بما تريد . فنحن في خدمتك . وفيما نحن نتكلم هكذا اذ أقبل صاحب الخان واسمه ( مانوق آغا ) خياني تحية تبينت فيها الصدق وعرفت من كلامه ولغته انه أرمني . فهدأ روحي ونزلت . وحين صعدنا الى الطبقة العليا أبصرت قوماً جلوساً يدخنون نركيلاتهم وسيكاراتهم وأمامهم كاسات القهوة والشاي . وفي صدر المكان فونوغراف يطرب

الجلوس بما يحاكي لهم من اصوات المغنين والموسيقات . ورأيت على رؤوس القوم نوعين من العمام . واحدها معصوب بشاش ابيض وثانيهما معصوب بشاش اسود . فسألت عن الفرق بين الشكلين . فقيل لي ان الابيض شعار المسلمين والاسود شعار الارمن . فتذكرت ما يروى عن اتخاذ بني العباس للشعار الاسود حين اظهروا دعوتهم في اواخر الدولة الاموية ولم أدرك سر هذا الفارق الجديد

وما استقر بي الجلوس على بعض تلك المقاعد الأجنبي مدير البوليس ( وكان يسمى سرقوميسيراً اذ ذاك ) . فتلطف في التسليم وجلس الى جانبي مرحباً ومسلماً . فلما فرغنا من مطارحة الأكاذيب قلت له :

— ما شأنى اليوم عندكم ؟

— أنت معاون مكتوبىجى الولاية ( مساعد ثان للسكرتير )

— غير اثنى منى

— وما يضرك ان تكون منفيًا . وانت حر غير مسجون ولا مقيد .

تذهب اية شئت على شريطة ان لا تخرج عن حدود ولايتنا فكاد فؤادى يثب سروراً واعتباطاً . وما كان سرورى ولا اعتباطى الآبما بلغت من حررتى . فاحببت ان اضل بمكاني من الأمل ولم اشأ اكثار الاسئلة لئلا اسمع شيئاً جديداً يذهب بحلاوة ذاك الأمل . وبينما انا احادث زائري واذا رسول من عند الوالى يدعونى الى داره . فكبر على الامر واخجلني ما كنت مرتدياً من الملابس التى التبست طرائقها وغابت الوانها . فاعتذرت واظهرت التعب . ولكن اقبل على مدير البوليس يستنشظ نفسى الى الذهاب واخذ يثنى على الوالى ثناءً جميلاً ويبين لي

ان عدم الاجابة يحدث بيني وبينه شراً عظيماً . فقامت مع الرسول متثاقلاً  
وما زلت اطوف تلك الاسواق الموحلة والناس يرموني بأبصارهم حتى جئنا  
دار الوالي . فدخلناها واقبل الخدم يريدون ان يزعوا حذائي ويقدموا  
لي نعلين لينتبن مكانهما . فاجبت كارهماً . فلما رأوا جوربي ممزقين وقد  
تبدت منهما اصابع قدمي رثوا لحالي ودعوا على من رماني تلك الرمية .  
ثم ادخلت مكان الاستقبال وبقيت به حتى اعدت المائدة . فلما تقدمت  
اليها رأيت صاحبي كاظم بك ينتظرنني . فجلس كلانا وجلس معنا جماعة  
من المستخدمين واخبرنا ان الوالي في بيته الآخر مع حرمة الصغرى وانه  
يريد ان يواجهنا بعد العشاء . وحين آن اوان الزيارة خرجنا وبين ايدينا  
الخدم بالانوار . ندع طريقاً وناخذ في غيرها الى ان بلغنا البيت . فصعد  
بنا الخدم الى مجلس الوالي . فاقننا في انتظاره . ولم يلبث ان اقبل علينا  
في ملابسه البيتية على عادة اهل الشرق . فتقدمت مسلماً . فعرفني بفراسته  
ثم التفت الى كاظم بك وقال :

— أظنه ضيفنا فلاناً

— نعم . هو ذاك

ثم أمرنا بالجلوس ومدّ الينا علبة بسيكاراته . فتناولت واحدة واخذت  
ادخنها ساكتاً انتظر ان يبدأ بالكلام . واذا به مطرق . مفكر لا يكلمنا  
ولا ينظر الينا . وقد بدت على وجهه آثار الكتابة حتى لمحها كاظم ولحتمها .  
ثم رفع رأسه بعد استغراقه وأقبل يسألني عن سبب نفي . ولما كان شرح  
القصة يحتاج زماناً طويلاً ويجدد شجناً كاد يتقادم لم أرَ بداً من اظهار  
التجاهل . فhez الرجل رأسه وقال : قاتلهم الله . وهـل يقاس مثلك بمن

ينفونهم الى هذه الافطار . ولكن لا ضير . لكل كارثة لطف من الله يدروها . فاصبر وامثل حكيم ربك ما بعد الشدة الا الرخاء . واعلم بني انك نازل بلداً اهل اهل دعة وسلام وايقن اني لست والياً عليك وانما انا ابوك . فشاورني في امورك وافزع الى الله ثم الي عند مخاوفك . ولا تكثر مخالطة السفهاء من هؤلاء المنفيين الذين ستجدهم في هذا البلد . وجانب فلاناً انه خدين الكأس . لا يعرف غيرها . وهو سيء التربية . لا يجبه أحد من الناس . فوعده طاعة وامثالاً وخرجت من عنده راجعاً الى الخان

فاما كان الغد بكر الي رسول الوالي . فتوجهت الى داره الأولى واذا امين الصندوق واقف في انتظاري . فتقدم الي بورقة في يمينه ودرهم في يسراه وقال : ضع توقيعك على هذا الصك واقبض هذه الدراهم . لقد اتصل بدولة الباشا انك خالي اليد . ولكن كتب الينا من الاستانة بتوظيفك معاوناً للمكتوبجي ولم يسموا لنا مبلغ مرتبك . فرأى الوالي ان يصرف اليك سبعمائة قرش تنفقها في بعض حاجاتك الى ان يسمي مرتبك في الاستانة . فوقعت للرجل على الصك وقبضت المال . وحين واجهت الوالي امرني أن ابعث رسالة برقية الى أهلي ليعلموا مكاني . فكتبت الرسالة واتتهت اليهم في غداة اليوم الثاني . واطمأنت بذا قلوبهم وعرفوا ما آل اليه امري . وكنت اوصيت الخياط أن يصنع لي ملابس جديدة فصنع ولبستها واصلحت من هياتي ما امكن لي اصلاحه . فلما تهيأ لي بعض ما اردت خرجت اريد دار الحكومة . فذهب بي الشرطة الى غرفة السرقوميسير . فلتقاني الرجل تلقى الصاحب ونهض معي حتى ادخلني

على المكتوبيجي وقدمني اليه . واذا رجل محبوب الطلعة باسم الوجه نحيف  
الجسم ذو لحية سوادها غالب على صفرتها . فأحسن قبولي وبذل لي المودة  
وأبدي لي جانب الانس والود . وبعد الاكتفاء بالحديث والتسليم قاذني  
الى غرفة الوالي وقدمني اليه على الطريقة الرسمية . وكان الى جانب الوالي  
في غرفته رجل أسمر اللون أبيض الشاربين محبوب الوجه . استخبرت  
عنه فقبل لي انه ارستيدي باشا معاون الوالي ( هو بك اذ ذاك )  
فعدنا الى غرفة المكتوبيجي بعد مجلس لم يطل الا دقائق معدودة  
ولحق بنا معاون الوالي . قمم التعارف بيننا على أحسن منوال . هذه  
حالات تواتت فيما دون الثلاثة أيام خلت بعد وصولي الى سيواس . أتت  
ومضت ولا أدري ماهي . غير اني لا أجدها فضلها . فقد كان لها  
شأن يذكر في تخفيف لوعاتي . وانما سرني ان قبض الله لي مثل هؤلاء  
المتحبيين . افرج بهم غمهم الموموم . ولو ألفت بي المشيئة بين اناس من  
غلاظ القلوب وجفافة الطباع لطل شقائي . ولقد يتخلل ايام الشدائد  
اوقات تكاد تنسي المرء ما يتجرعه من غمصها . وما ذاك الا انصاف  
في الدهر يتغلب عليه احياناً . ولما هممت بالخروج من عند المكتوبيجي  
سألني ان اعاوده الى غرفته قبيل المساء اجابة الى مأدبة أعدها لي في بيته .  
فأجبت شاكرًا وخرجت

ما امسيت يومنا ذاك الا وانا في بيت المكتوبيجي . فأراني ابنه  
سليماً وبنته سوزان وهما كحامي ايكة تدل نظراتهما على ذكاء موفر  
وتهذيب مستمر . ثم جاء ارستيدي باشا معاون الوالي . فكنا ثلاثة على  
مائدة واحدة . وكنت كلما زدت محادثة للرجلين زدت محبة لهما وأنسأبهما

وقد أظهر من الودّ مثل ما استشعر به فؤادي  
وينا نحن في مجلسنا وسمرنا اذا برجل له حدة بين كتفيه  
كسنام البعير . تحمل رقبتة رأساً كالليمونة اليابسة ركب فيها وجه كالجدع  
المنقلب . كله ختل بادٍ وشركامن . قلت من هذا ؟ فقيل هذا ترجمان  
الولاية واسمه المسيو عمانوئيل بروستاكي . ومما زدت به علماً من صفات  
الرجل انه شديد الساعد مدمن للرياضة الجسمية كثير العجب بها وان  
الرجل كريدي الأصل وانه من ارذل الجواسيس . قلت ابعده . ولكن  
ماذا اخاف من تجسسه وانا رجل منفي مقصي . فجاء هذا الزائر غير  
المحبوب حتي جلس الى جاتي . غير اننا لم نلبث ان عرف كل ما سيكون  
له عند صاحبه . وقد مهّرنا تلك الليلة سهراً طويلاً قضيناه في حديث  
طيب وانس قريب ثم تودعنا وخرج كل يريد منزله

## وفاة الحاج حسن حامي باشا

والي سيواس

انتبهت مبكراً غداة دعوة اسعد بك المكتوبجي . فراعني الا  
أغوب خادم الأوتيل داخلاً غرفتي على غير عادته . قلت : ما وراءك ؟  
قال مات الوالي . فبقيت واجماً باهتاً . لأن الرجل أمسى وليس به ما يشكبه .  
فزدت الخادم استيضاحاً . فأخبرني انه مات بالسكتة القلبية . قلت هذا  
رجل حمدت لقاءه ولم أعلم له سيرة تكسبه الحمد او الذم سوى ما كان يثني  
به عليه مقربوه وليس ذلك دليلاً . فان كان رجلاً أفاد الأمة خيراً

فوَآسَفَاهُ عَلَى قَعْدِهِ وَإِنْ كَانَ أَمْتَحَنَ جَانِبَهَا بَشْرَهُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى خَلَاصِهَا مِنْهُ . وَلِيَعْوِضَهَا اللَّهُ رَجُلًا يَنْهَضُ بِجَنَاحِهَا الْكَسِيرَ وَيُرِيهَا مِنَ الْإِنصَافِ وَالرَّأْفَةِ حَاجَتَهَا

ثُمَّ أَسْرَعْتُ إِلَى ثِيَابِي فَلَبِستُهَا وَخَرَجْتُ أَرِيدُ دَارَ الْوَالِي . فَرَأَيْتُ عَلَى بَابِهَا جَمَاعَاتِ الْمَسَاكِينِ وَالْمَشَائِخِ وَغَيْرِهِمْ . كُلُّ فِتَّةٍ قَائِمَةٌ فِي انْتِظَارِ مَا يَعْنِيهَا . فَدَخَلْتُ الدَّارَ وَإِذَا النَّاسُ كُلُّهُمْ مُتَوَافُونَ مُتَكَامِلُونَ . وَمَا دَنَا الظَّهْرُ الْأَخْرَجْتَ الْجَنَازَةَ بِاحْتِفَالٍ لَا يَسْتَحِقُّ الذِّكْرَ . فَشِيعْنَا الْفَقِيدَ حَتَّى وَارَيْنَاهُ رَمْسَهُ وَرَجَعْنَا وَنَحْنُ لَا نَتَحَدَّثُ إِلَّا بِحَدِيثِ وَفَاتِهِ . فَقَصَصْنَا الْخَبْرَ مِنْ حَضْرَتِهَا . قَالَ إِنَّهُ فَرَّغَ مِنْ عَشَائِهِ وَجَلَسَ إِلَى حَرَمِهِ الصَّغْرَى بِحَادِثِهَا .

وَلَمَّا حَانَ وَقْتُ نَوْمِهِ اسْتَلْقَى عَلَى مَقْعَدِ هُنَاكَ وَسَأَلَهَا أَنْ تَبَادُرَ إِلَى الْخِدْمِ بِطَلْبِ الطَّيِّبِ . غَيْرَ أَنَّ الْمَنِيَّةَ سَبَقَتْ وَمَاتَ الرَّجُلُ قَبْلَ أَنْ يَحْضُرَ

وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ تَوَجَّهْتُ إِلَى الْمَأْتَمِ فَجَلَسْتُ فِيهِ مَا اسْتَطَمْتُ ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَ الْمَكْتُوبِيِّ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُوظَّفِينَ . فَجَعَلَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ مَسَاوِي الرَّجُلِ مَا لَا يَصْبِرُ حَلِيمٌ عَلَى سَمَاعِهِ . قُلْتُ : قَدْ

أَنَّ لِلْكِتَابِ الْمَطْوِيِّ أَنْ يَنْشُرَ

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى سِيَوَاسِ بَكِيرِ بَاشَا مُتَصَرِّفِ تَوْقَادِ . فَجَعَلَ وَكِيلاً لِلْوَالِيَةِ وَكَثُرَتْ يَوْمئِذٍ الْأَقْوَالُ وَالظُّنُونُ . فَذَهَبَ أَنَا إِلَى أَنَّهُ سَيَخْلَفُ الْوَالِيَّ الْمُتَوَفَّى وَزَعَمَ آخَرُونَ أَنَّ سَيَخْلَفُهُ غَيْرُهُ . وَتَوَالَتِ الْوَلَايَةُ وَالْمَأْدِبَاتُ احْتِفَالًا بِبَكِيرِ بَاشَا . فَلَمْ يَبْقَ فِي سِيَوَاسٍ وَجِيهٌ إِلَّا اسْتَقْبَلَهُ بِدَعْوَةٍ إِلَى بَيْتِهِ . وَكُنْتُ أَنَا مَعَهُ كَالظِّلِّ لَا يَتْرَكُنِي أَفَارِقُهُ إِلَّا بَعْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ عِنْدَ أَنْصِرَافِ سَائِرِ رَفِيقَتِهِ . وَمَا يَسْفِرُ الصَّبَاحُ إِلَّا تَتَسَابَقُ إِلَيَّ رَسَلُهُ

ولقد لحني يوماً مفكراً فالتفت اليّ مزدجراً وقال لي والناس يسمعون:  
— اي بني . لا تحمل نفسك همّاً . انتظر حتى يقضي الله في امري  
بما يريد . فاذا أنا وليت سيواس احتلت لك في السعادة . فاما اخلصك  
من هذا النبي واما افتح في وجهك طريق الهرب الى مصر . فثقل كلامه  
على سمعي واورجست منه خيفة . ثم قدر الله ان ولي سيواس الرجل الشهم  
والعثماني الحر رشيد باشا عاكف ابن المرحوم عاكف باشا الشهير .  
فانتقضت آمال بكير وأقام يرتقب ان ينصب والياً على ولاية اخرى  
وقد كثر المطالبون لحسن باشا بعد موته وتعدد المشتكون . فأبى  
بكير باشا ان يأذن لأهل الرجل بالسفر قبل ان يقضى دينه . وجاءت تركته  
بما لا يذكر من المال وظهرت في خزينة الحكومة وغيرها فضائح تداركها  
من عنى بها يومئذ . فعلمت ان هذا الوالي لم يرحم في استجلاب الكسب  
صغيراً ولم يوقر كبيراً . وقد بلغ من الجشع مبلغاً لم تقدر عليه وحوش  
الفلاة ولا نسورها

زعموا انه اشترى من بعض الفقراء قنطارين من البصل . فلما ذهب  
البائع الى الوكيل مقتضياً أخذ يماطله اياماً حتى عيل صبره . فلزم الغريم  
البائس باب الباشا الى ساعة خروجه . فتقدم نحوه ولثم طرف ثوبه ووقف  
خاشعاً خاضعاً يستعديه على وكيله ويطلب عطفه ورحمته . فتغير وجه الباشا  
واشار الى الرجل بعصاه قائلاً : ألا تستحي . ايها الرجل . ان تطالب واليك  
بثمن قنطارين من البصل ؟ امض لشأنك وتعلم التربية . ثم التفت الى من  
حضر من صحبه وقال : لى الله . ماذا اعاني من تقويم هذه الطباع وهي  
تأبى ان تقوم . وخرج بائع البصل مخزياً ومنكسراً . فاذا صحت هذه

المزاعم وما خالها إلا صحيحة فالرجل ساقط المروءة . بعيد عن مواضع الشرف . لا يمتنع عن الشهادة نه بذلك ما سبق الي من تودده وكرامه . ان الخائنين يستدرجون بالظلمين حتى يبلغوا بهم غايات التلف . ولا ثقة بود مفاجئ من غير وفي . اكثر العوادي يستنم للفريسة وفي لهواتها دماء فريسات مضت وبين انيابها الحتف الكامن

ومما علمت من ماضي هذا الرجل انه كان والياً على الحجاز وان أهل البدو سطوا علي قناصل بعض الدول في جدة وقتلوهم وكان ذلك في ايام ولايته في نحو سنة ١٨٩٤ على ما اظن . وكانت تلك الدول وفي طبيعتها الدولة البريطانية ارسلت يومئذ سفنها الحربية وطلبت محاكمة الباشا . ولكنه وجد سبيلاً الى الفرار ففر الى الاستانة . غير ان الحكومة العثمانية لم تجد بداً من محاكمته في مجلس خاص . فقامت عليه البينة وحكم عليه بان لا يستخدم في الحكومة ما دام حياً . ثم فرغ الى الرشوة فاستعملها فعين والياً على سيواس . وكان يأمل ان يصير ناظراً للداخلية اذا سقطت الوزارة واستغنى عبد الحميد عن ناظر الداخلية ممدوح وشيعته

### زفرة من زفراتي

فؤاد دأبه الذكر	وعين ملؤها عبر
ونفس في شبيبتها	وجسم مسه الكبر
وآمال مضية	ووقت كله هدر
وعيش عذبه مضض	وعمر صفوه كدر
أما ياليل من صبح	لمن سهروا فينتظروا

جفون الناس هاجمة وجفني ضافه السهر  
اذا سور تولت منك م عني اقبلت سور  
افانيها فتفنيها واطويها فتنتشر  
وحيداً فيك ذا حذر يكاد يخونني الحذر  
فلا كتب اسامرها اذا ما شاقني السمر  
ولا نظم ولا نثر وقد نظموا وقد ثروا  
سأقضي العمر في اسر ويسعد بعد من اسروا  
ارى سيواس تغمدي كأني صارم ذكر  
صدأت بها واحسبني سأصداً ما جرى العمر  
أبخذاني واخـواني وينصر خصمنا القدر  
فوا لهني على سرب تولى رعيه النمر  
غدا في ارض مسغبة جفاها النبت والشجر  
قضى راعيه مذ زمن وضلت بعده العفر

\*  
\*  
\*

يقول احبتي صبوا وهل في النار يصطبر  
عداة الحق قد ربحوا واهل الحق قد خسروا  
ونحن امامنا وطن نراه اليوم يحتضر  
فمن يجزع فمعدور ولكن قل من عذروا  
فيا افق التهب حزناً وجد بالدمع يا مطر

\*  
\*  
\*

علام نلوم اعداء على شر اذا قدروا

بلوناهم لدن شبوا أنسأهم اذا كبروا  
نصحنهم فما انتصحو زجرناهم فما ازدجروا  
لقد صلدت قلوبهم كأن قلوبهم حجر

\* \* \*

اذا اأتمروا على كيد فانا سوف نأتمر  
فن نخشى وفوق ال عرش مهما يفتر بشر  
وفي الأيام متسع وفي الاقدار مدخر  
وفي الاحداث معتبر لو ان الناس تعتبر  
وهذا التاج منعفر غداً والقصر مندثر  
رويداً انها دول تدول وبعدها آخر  
يظل الحق منهزما زماناً ثم ينتصر  
سيوف الله ان سلت فلا تبقي ولا تذر

## ما كابداه أهل بيتي في فروع

جاءت والدتي وامراتي لتزوراني في السجن على جاري عادتتهما .  
وكانت المرأتان لا تأملان ان يؤذن لهما في الوصول الي . ولكنهما قالتا  
نحتال في الأمر عسى ان نهتدي الى حيلة ننال بها طلبتنا واذا نفذت  
الحيل وسدت المسالك كلها فان فيما نستخبر عن حال الرجل وصحته لمقنماً  
لنا . وانما وصلت السيدتان ساعة ارادت المتصرفية حملي الى الباخرة .  
نخشي رجال الشرطة ان يحدث من ذلك أمر يستلفت أنظار الناس .  
فأوا الخراجي في غفوة من أهل بيتي . فتقدم رئيس القوميسيرية الى

السيدتين قائلاً: انتظرا المتصرف، ويوشك ان يحضر الساعة. اني لأرجو ان يأذن لكما اليوم في زيارة رجلكما. ثم رأى الخادمة حاملة ولدي البكر. فقال لها: لا تقفي في هذا المكان. اني اخاف ان يبكي الصبي فيسمع أبوه بكاءه ويعتريه حزن شديد. فذهبت الخادمة مع السيدتين الى مكان ينتظرن فيه قدوم المتصرف وبقين هنالك الى ان اخرجوني من سجنى واركبوني العربة. وجاءت امرأة من قيماة السجن تخبر والدي وامراتي اني لست هناك وان الشرطة نقلتني الى باب الضبطية. فلا يسألن قارئ كتابي عن حال النسوة الثلاثة حين فاجأهم هذا الخبر. وقفن واجمات حائرات لا يدريين ماذا يصنعن.

وبينا هنّ على تلك الحال من الخبال اذا احد الشرطة يتقدم نحوهنّ متخوفاً حذراً. فلما قارب مكانهنّ قال:

— ايها السيدات. لا تضيعن وقتكنّ هدرًا. بادرن الى نظارة الضبطية عسى ان تستطلعنّ خبراً او تهتدين الى طريق. ثم ابصر الشرطي رفاقاً له قادمين نحوه فاختلط بهم وانصرف عن السيدات. فلما يئسن من رحمة تداركنّ خرجن متوجهات الى الضبطية وبقين هنالك الى المغرب. ثم تكرم احد ملوك الارض فسألهنّ عما يلتمسن فلما أخبرنه ذهب عنهنّ وغاب ساعة ثم جاء يحمل دفتراً. فقرأ لهنّ اسماء كثيرة وليس ينهنّ اسمي وقال: هو لا يأتي الينا وابي ان يخبرهنّ بأكثر من ذلك. فلم يبق تدير يحكم ولا أمل يرتقب ورجعت السيدات رجوع اليأس والحسرة

ولقد يخلق الله نفوساً تحب الخير وتستطيب مكارم الاخلاق.

وتعصف بها في هذه الحياة عواصف حتى ترمي بها في مهاوي الشقاء  
حيث تزدحم نفوس تعودت الشر فتبلى بتلك الصحبة الدنسة ثم تقصد  
جواهرها وينطفئ نورها . وهذه القرارات النارية هي بيوت الظلم التي  
ندعوها منازل الشرطة ودور الحكومات المستبدة . ومن كتب عليه  
النحس في الأزل بمخالطة هاته المواضع عرف كيف يكون الشقاء

اقامت والدتي وامراتي خمسة عشر يوماً وهما لا تعرفان ابن انا . كلما  
ولجتا باب كبير من الكبراء زعر منهما اهله وحاشيته . لم تجد المرأتان في  
عاصمة الملك اذا جاء من الرجال يحبوهما نصحاً او يعينهما على صبر سوى  
وفاء من بعض انصار الحرية اعلنوه بزياراتهم ومشاركتهم لهما في أحزانهم .  
وكم من ذي رأي يومئذ بان الخطل في رأيه . قالوا : استعطفنا السلطان .  
وهل يستعطف الذئب على فريسته ؟ قالوا قبلا الأيدي والاقدام . وهل  
مثل اهلي يشترون دمي بشرفي ؟ لقد اغناهما الله بالصبر ووهبهما الحكمة  
فامثلتا امره واستنجدتا المبرات . وما أنا بعاتب على مقصر في نصره ولا  
متحول عن ود . ان مواطن الهلكات لا تثبت فيها كل القلوب . ولولا  
اقتضاء الوصف لما كان للقارئ نظري في هذه السطور السود . اصف حال  
الجواسيس . بنست الخليقة تشاركنا في الحياة ولا تشاركنا في  
الاستشعار . اخذوا بطرفي الطريق وترصدوا باب الدار وتراؤوا للزائرين  
في وجوه كأنها الحجارة . بردت فيها حرارة الحياة . فلا تحمر ولا تصفر  
بل تبقى غبراً كالخلة لو ضربتها بصوانة لارتدت عنها الصوانة

وددت ان اصف بعض ما كابده أهل بيتي من الشدائد . ولكني  
لا أجراً على ذلك . هذا أسف اخاف ان استعيد ذكره . اقر بالجن عنده

وما جبت عند خطر قبله . لقد باتت امرأتي وهي لا تجسر ان ترضع بنتنا .  
تغير لبنها ومجته الرضیعة . فكانت لنا جارة من سيدات الأرومن تأتي ليلاً  
ترضع الشقية بنت الشقي خلصةً ثم تعود . وكانت الباعة بجانب البيت  
حذراً . ولم يبقَ محب على عهوده سوى من ذكرت في الفصول المتقدمة  
وسوى الصديق الشهم حسن فؤاد باشا الجندي الحر الباسل ناظر الدروس  
في المدرسة الحربية العثمانية وكذلك اهل بيته . غير انه لم يلبث ان اصابه  
بعد ذلك ما اصابني . ففني الى رودس وظل بها الى ان اعلن الدستور  
ولما انفذت رسالتي البرقية الى اهل بيتي اطأنت قلوبهم وعاودتهم  
عقولهم فأخذوا اهبتهم وبادروا نحوي مسرعين . وكان بكير باشا لم يبرح  
سيواس . فاذن لي في استقبالهم واصحبي بجندي ليكون في خدمتي . فلما  
رأيت والدتي وامراتي انكرتهما لما بدا عليهما من التغير والشحوب . ثم رجعت  
معهما وبين يدي ابني وبنتي اخفف بهما آلام الغربة . وكان هذا اللقاء  
معواناً لي على احتمال النفي سبعة اعوام ولولا ذلك لم استطع تجلداً

## قدوم رشيد عاكف والياً على سيواس

لما التقيت بأهلي واستصحبتهم الى سيواس ادلت على منزل للسكن  
قزلناه . بنس منزل الساكن ذاك . غرفتان في الطبقة العليا وغرفة في  
الطبقة السفلى . وفي جوف ذلك البناء ظلام وهواء كله بلل . كالكهف  
بل احسن منه الكهف . فمالجنا الدار الا انقبضت صدورنا . غير اننا وطنا  
النفوس على الصبر وقلنا : ما نحن بخالدين فيها . وعزمنا على ان نبدل عنها  
بغير منها حين تستقيم الحال ونعلم مصيرنا . فامسينا وان لنا ان ناوي الى

المضاجع . فوقفت الى جانب كوة تطل على الطريق وقد خلت من كل  
عابر . فاستشعرت وجمعاً في اسناني بدأ خفيفاً ثم اشتد حتى كدت اجن  
به جنوناً . قلت : وهذا هم جديد . كأن ما كابدناه لم يكن كافياً فزادنا  
المرض لثم المصائب . فاخذت قليلاً من الكونياك وجعلت اتمضمض به  
تسكيناً لوجعي . فما زادنا الا شراً . وبقيت ليلتي تلك واقفاً او ماشياً او  
قاعداً او مضطجعاً الى ان اصبحت . فبادرت الى اجزاخانة تحت المنزل  
اسأل صاحبها دواء يسكن وجعي . فأخذ يجرب عقاقيره في غير طائل .  
فلما تجاوزت الشدة ذرع الصبر طلبت اليه ان يعطيني مقداراً من المورفين  
وحقنة احقنه بها تحت اللثة . فامتنع اولاً ثم اجابني راضياً . فحقنت الدواء  
وسكن الوجع واستلقيت سكران لا أحسن الكلام

هذه سكرة ما تجشمت لها سرى ولا طرقت من اجلها حانة ولا  
اجلت في طلابها كأساً . انت عفواً حين اشتدت الحاجة اليها . وانها  
لسكرة مات بحسرتها شيخ المعرة اذ قال :

تمنيت ان الخمر حلت لنشوة تجهلني كيف اطمانت بي الحال  
فاذهل اني بالعراق على شفا رزيء الأماي لا انيس ولا مال  
اضطجعت في ناحية من الغرفة واقمت استسمع شكوى من قعدوا  
حولي . السيدتان في نحيب والطفلان في بكاء ولدينا زنجية كانت تشبث  
بالسيدتين ان لا تدعاها . وهي امرأة مثل زجاجة الخبر أخذت تتمهديني  
بالقهوة . واني لساكت ساكن . تقع تلك الأصوات على اذني وكأنها  
تأتيني من جوف بئر . اسمعها ولا افهمها . وكنت اود ان لا افهمها . فتأمل  
صحي في وجهي فراوا في الخلد الأيسر ورماً يتزايد على توالي الساعات .

وما دنا المساء الآ وأنا ذو وجهين . اشهد الله ما كنت كذلك فيما سلف من عمري . فلما تكامل الليل خفت فعل المورفين واعتادني الوجع . فبادرته بحقنة ازالته وأنامتي . وبقيت كذلك أياماً اجمل على اليسر وجهي وجهاً ثانياً هو اكبر من الاصلي . حتى اذا كنا في بعض الأيام سمعنا اصوات الموسيقىات وضجات العربات وضوضاء السوق . فاطلنا من الكوى واذا جموع تتلوها جموع يؤمون دار الحكومة . ودار الحكومة قريبة من كهفنا نراها كل يوم وتبين داخلها وخارجها . فانفذت اغوب الذي يخدمني في الخان وكنت استخدمته عندي . فذهب ثم جاء يخبرنا ان الوالي الجديد قد حضر وان الفرمان السلطاني قريء وان الوالي خطب الناس خطبة وعد فيها بالمساواة والعدل وان الناس مستبشرون به . قلت اهلاً به ان كان عادلاً وابعد به ان كان ظالماً . فكان وصول رشيد عاكف باشا الوالي الجديد الى سيواس بعد وصولي بشهرين على ما اذكره

فكث هذا الأمير أياماً لا نسمع عنه بشيء جديد . وكنا نراه في بعض الأحيان يمر بباب دارنا ومعه اركان الولاية وخواصها . فاعجبنا ظاهر هيأته . فقد دلت على ادب غض ونفس ابية . أما ما انطوت عليه طويته فتلك مالا تكشفه الظنون ولا تصدق فيه النظرات

واني لعلى ما وصفت من السقم والسأم واذا رسول من ارستيدي باشا معاون الوالي يتعجل مصيري اليه . فاعتذرت بما أنا فيه من المرض والوهن . فقال : هو يعلم كل ما ذكرت ولا بد من ذهابك معي ولو كلفك ذلك عناءً ومجهوداً . فلبست ثيابي وانطلقت مع الرجل حتى دخلت على معاون . فلما رأني بسم اليّ واحسن لقائي . ثم اخبرني ان الوالي حدث

بحدِيثِي . فسَاءه ان لم يرني وتمنئ ان لو عرفني . وقال لي ادخل الآن عليه  
وارجع اليّ اذا خرجت من عنده . فاستأذنت لي الحجاب فجاء الاذن  
فدخلت . فتلقاني الرجل بصدر رحب وانس قريب وود محض لا يشوبه  
رياء واجلسني قريباً منه . ثم اقبل عليّ يحادثني فقال :

— عز عليّ . يا فلان . ان اراك في حال تسوؤك . وقد اتاني عليك  
ثناء طيب ممن عرفوك هنا على قرب عهدك بهم وبلغت انك من بيت  
يكن . فنعم الحسب . أنا لا اعرف من بيتك أحداً ولكنني أجله وأحبه  
على الغيب . فهل لك ان تخبرني عما دعا القوم الى نفيك ؟  
— هذا . يا سيدي . سر غامض لا علم لي به . بلاء ذهني ولم أكن  
له متوقفاً

— كلامك لا يتقع غلة المستخير . لا تسيء بي الظن ان كنت  
لا تستطيع ان تحسنه . وما سألتك الا لأنظر في أمرك . عسى ان أجد  
سبيلاً الى خلاصك وارجاعك الى ما كنت فيه  
— ما كتبت سيدي شيئاً مما علمت . لقد دهاني خطب عرفت  
ورده ولم اعرف صدره

— اذن فالصبر بك أولى . واذا أنست في جانبي ثقة واطمأنت اليّ  
نفسك فاطلبي تجدي عند أمك . واتي لموصيك وصاة ارجو ان لا تغفل  
عنها . اياك والخوض في السياسة عند قوم لا تعلم حقيقتهم . ان في  
البلدة جواسيس رزقهم من هفوات المظلومين . لا أدري من هم اوائك  
السفلة . ولكنني سأحتال في معرفتهم وسأندبر في ابعادهم من هذه  
الارض . واعلم انك اذا وشى بك أي واش اثمرت وشايتة . وما بعد النبي

الأالسجن والأالألال والأالموت . فأحذر أن تفجع بك محببك وأن  
تروع قلوب أهلك بمصرعك

فشكرت الأمير على هذا الكلام الذي ما أملت أن أسمع من أحد  
في مثل ذلك العهد واستأذنت في الانصراف . فأذن لي . وحين ودعته  
بسم في وجهي وقال :

بلغني أن السيدة الوالدة معك . فقبل عني يدها ولترضني ولداً  
لها . فاعدت الشكر وخرجت من عنده متوجهاً إلى غرفة معاون الوالي .  
فأجلستني وسألني عما جرى بين الوالي وبينني من الحديث . فاخبرته . فسر  
حتى بدأ السرور على وجهه وقال لي : إذا صدقت الفراسة فقد رزقنا  
خير وال . وكيف بك لو رأيت أعماله في الحكومة . أما لقد ملأ القلوب  
والعيون . أمس استدعى بعض المعممين من الموظفين فلما مثلوا بين  
يديه . خاطبهم وكأنه خطبهم فقال :

— دار الحكومة ليست تكية ولا مسجداً . فما هذه العمام التي على  
رؤوسكم . لا أتم كالمشايع ولا أتم مثلنا . اثياب أوربية تعلوها عمام !!  
هذا ما لا يكون . أما أن تستبدلوا العمام بالطرايدش وأما أن تستقبلوا .  
أني لا طاقة لي بمصاحبة أناس من الساقطين بين الجديد والقديم . غداً  
استدعيكم وأرجو أن لا أرى فيكم من يكرهني على أن أقسو عليه

قال ارستيدي باشا : فانصرف القوم وما جاؤا دار الحكومة غداً  
الا وعلى رؤوسهم الطرايدش . ثم ضرب الوالي ميعاداً لحضور الموظفين  
وتوعد كل من يتأخر منهم عن ذلك الميعاد بالعزل . فما رأينا بعد ذلك  
موظفاً يأتي متأخراً

قلت — يا سيدي . هذا شيءٌ تنشرح له الصدور . فسي ان تدوم  
هذه الحال وان لا يتغير لنا الرجل . فقد رأيت الناس يسرع اليهم التغير .  
فيصبح العادل ظالماً وينقلب المحسن مسيئاً

— ليس في الوجود محال . على ان طباع الرجل ثابتة ظاهر ثباتها . وكل  
اقواله وأعماله تدل على نفس حرة وشمم موروث . وما زلت في مثل  
حديثنا حتى ان اوان الانصراف من الحكومة . فودعت المعاون وخرجت  
معاوداً بيتي . فدخلته وقد هاجت علي اوجاعي وعادوني قلبي . فعمدت  
الى عدتي التي اسطو بها وهي حقنة المورفين . فشككت موضع الألم  
فسكن وسكنت وعادوني ما كنت فيه من الاستغراق . تلك حياة  
جديدة استفتحت بابها في سيواس ولكنها لم تطل كثيراً . فقد اتصل  
خبري بالوالي وارسل الى الاجزاخانات ينهاها ان تبيعني المورفين . وكان  
ما عندي منه قد نفذ فامتنعت ان تبيعني شيئاً منه ولم يغن عني رجاء ولا  
اغراء بمال . فلما عاودت المنزل عمدت الى سلك من الصلب لفته على  
احدى ثناياي وما زلت اجذبها حتى اقتلعتها من اصلها واقتلعت معها قطعة  
من عظم الفك الأعلى . وقضيت ليلي ما احسبها مرت على غيري .  
ثم عملت عملية جراحية . فلم تنجح بل ضاعفت آلامي وزادني وجداً  
على وجد

كنت دعوت طبيب الاسنان وسألته ان يتولى تلك العملية .  
فأخرج من جيبه سكينه مطواة غطاها الصداً حتى لا يتبين الناظر  
نصلها . فتناولتها بيدي وشممتها فاذا بها رائحة الخيار . فنظرت في وجه  
الرجل وقلت :

— أم تختر موضعاً تصنع فيه السلطة الأ بين فكي . فمسحها الرجل  
على سرواله وقال :

— هي نظيفة

— لا والله . لن ادعك تمس في اوتدعني اطهر هذه السكين

— شأنك وما تريد

فاستحضرت قليلاً من الكحول اضربت جانباً منه احقرت به  
النصل ثم غسلته بما بقي وامرت الرجل ان يغسل يديه امامي ففعل . ثم  
اسلمته فكي وجلست بين يديه . فأسند رأسي على ركبتيه وخط على اللثة  
العليا بسكينه خطأ استشعرت به وهي تحفر في عظامي . فوثبت واقفاً  
دامي الثغر لا تحماني قدماي . واشرت الى الطبيب قائلاً : قم عني . لا  
عدت لي بعدها . نخرج من عندي الرجل متعثراً . ورأيت بعد ذلك ان  
انتقل من الدار التي كانت مأوى أحزاني . فاكثرت بيتاً رجباً خالص  
الهواء حسن المنظر وتحولت مع أهلي اليه . وهناك جاءني ترجمان الولاية  
من قبل الوالي يخبرني بان قد جعل مرتبي خمسة عشر جنهما عثمانياً في  
الشهر . قلت : لاضير سنصبر كرهاً اذا لم نصبر طوعاً

وقد رأى الترجمان ان يجعل هذه الزورة فاتحة للتجسس . فأخذ  
يقص عليّ انه كان جاسوساً وهو تلميذ بالمدرسة وانه تجسس مراراً على  
عبد الرحمن بك مدير المدرسة السلطانية الكائنة في يراوان الرجل أحس  
منه ذلك فطرده وانه رفع أمر المدير الى السلطان مستشفعاً بعزت باشا  
العابد . فصدرت الارادة بقبوله في المدرسة حتى اكراه المدير على  
ذلك اكراهاً

فقلت للرجل وقد فهمت ما يريد : وما يعنيني يا اخي . من حديثك هذا . اني امرؤ لا أحب الجواسيس ولا أجد لذة في استماع اخبارهم — انالست من الجواسيس الذين يتسلطون على الناس فيؤذونهم من غير داعية الى ذلك . ثم اني لا استرق احاديث أصحابي ولا اخفي عنهم شيئاً من امر تجسسي . ولكنني أؤذي من يبادئني بالشر . هذا أمضى سلاح يحمله العاقل

— يا سيدي . ما بينك وبينني سابقة وداد ولا دالة . مالي انا ومهنتك وعادتك وسلاحك . انا رجل منفي مبعوض الى السلطان والى كل مخلص له . دعني وما انا فيه واتمس لك غيري . فرحل عني الخبيث حاقداً واضمر لي الانتقام . وبيننا انا في داري ذات يوم واذا رسول من الوالي يستقدمني اليه . فاجبت مسرعاً وادخلت عليه ساعة وصولي . فتلقاني بوجه لم آنس اليه واستدناني منه وامر ان لا يدخل علينا ثالث . ثم التفت الي فقال — ألم أقل لك . يا فلان . ان في البلدة جواسيس وان رزقهم موصول بقطع ارزاق الناس ؟

— بلى . قال سيدي ذلك

— اذن فما حملك على ان تجلس الى برويستاكي وتحادثه وتقول له : ان لديك جرائد مصرية تريد ان توزعها على الاحرار الذين بسواس

— لم أقل شيئاً من ذلك

— انا أعلم انك لم تقل . لأن المراقبة على البريد شديدة . ولا تستطيع ان تستجلب عدداً من جريدة مصرية الا ويقع في أيدي المراقبين . ثم أعرف انك معتزل مطالعة الجرائد وانك رضيت لنفسك

العزلة عن الناس دفعاً لشرهم واتقاءً لمفترياتهم . فسرني ما عرفت من حالك ولكن ترجان الولاية كذب عليك هذه الكذبة وقد صادفت اذناً مصدقة . فكتب اليّ بعض المقربين يسألنا عنك ويستخبرني عما زعمه الزاعم . واني سأدفع عنك كل ريب . غير اني لا أضمن لك النجاة كلما وقعت وقعة . فاحذر بني ولا تقبل زيارة احد من هؤلاء .

فأثيت على مروءة هذا الامير بما استطاع لساني وخرجت من عنده وكل روحي معجبة به . وما بلغت المنزل الا وفي يد والدتي خطاب تقرأوه والى جانبه آخر أشارت بيدها ان خذه انه لك . فالتقطت الكتاب واذا هو من عند شقيقي يوسف حمدي يكن . فأخذت في قراءته فما راغني الا خطوط سود مدت على سطوره فأخفت كلماتها . فحاولت حل تلك الرموز التي نسجت عليها دار البريد نسجها الاسود . فما استطعت مضياً . فعن لي ان اضع الكتاب على لوح من الزجاج من الواح الكوى ففعلت . غير اني لم استخرج الا كلمات كقوله : بعض الباشاوات وعصابات مكدونيا وانهمزمت العساكر . فعلمت ان شقيقي اراد اخباري بوقائع جرت في الروملي وان مراقبة البريد استطاعت ذلك فحتمه . فأسفت على ما فاتني من العلم بتلك الوقائع ولما كنتي كتمت تأسني وارسلت كتاباً ألوم فيه شقيقي على تعرضه لامور لا حاجة لي بها

## كلمة في الاناضولي

ما اتخذت حوادث الأيام مستقرًا لها مثل الاناضولي . عصفت عليها رياح الشدائد وفيها انتهت الى السكون . من عهد رمسيس اوقبله . اشتدت فيها هم الفاتحين وتراخت . ما برحتها خيول الفراعنة الا اقبلت عليها جياد اليونان . ثم تعاقبتها الدول مثل الارمن والرومان ومن بعدهم الى ان قادت اليها المقادير بناه الملك العثماني . فانتشروا في ارجائها ولا يزال ملكهم بها قائمًا

ارض ذات جبال وافلاء وكهوف واحقاف وبحار وانهار وعيون متفجرات . مترامية الاطراف لا يبلغ ذرعها ولا يسبر غورها . احدى حدائق آسيا . تفرد بالغرابة انسيها ووحشيتها . منبت الغالين والمغلوبين . مرتقى الحضارة ومهوى البداوة . تجاوزت فيها شعوب مختلفات عادات والسنا . فلا كز الزمان ألف بينها ولا طول العشرة استحدثت فيها توادًا . بل قطعت العصور متغايرة متنافرة حتى بات كل شعب وكأنه عدو لجاره لم يفتحوا كنوز الأرض فيستخرجوا دقاتها ولم يستثمروها بحرث ولا بسقي فيوتوا ارزاقهم منها . غفلوا عما يجب وانطلقوا يأكل بعضهم اكلًا

وقد كان من حق فاتحيها ان يعلموا أهلها لسانهم وان يدخلوهم فيما دخلوا فيه . فلا يأتي زماننا الا وقد استقر كل في قراره واصبحنا بعد ذلك وليس بيننا تنايد بالدين ولا بالأصل . غير ان الأمر لم يكن كذلك . وليتهم اذ لم يدخلوا الايلاف بين تلك القبائل على ما ذكرت الفوهم بتعليمهم

او بوصل الانساب بينهم . فكانت اواصر القربى أشد من الدين واللسان  
جذاباً . ولكنهم ما فطنوا لهذا الرأي ولو فطنوا له لقام في وجوههم جفافة  
المتورعين قومة رجل واحد

فاما وقد سها الماضون عن هذه الدقائق فكان على اعتقابهم ان ينظروا  
فيها ويحكموا السياسة من وجهة أخرى . ولا ارى تديراً يفيد بلادنا مثل  
عدم المركزية . هذا رأي يفزع اكثر الساسة عند سماعه ولو اطالوا فيه  
النظر لبدت لهم محاسنه في أحسن الصور .

سبعمئة عام مضت والاناضولي في ذمة العثمانيين . كل دولة قامت  
ثم وقعت تركت فيها أثراً . والدولة العثمانية وهي لا تزال قائمة لا أثر لها في  
بلادها . وما ذاك الا لان العز بالسيف عز لابقاء لها . ولأن النجدة  
لا تسد خلة تحتاج الحكمة . والاسلاب والغنائم كسب المعتدي او كسب  
الناهب . فهي أقل بقاء من الظل . وانما يغتبط بها من اتخذ ساعده  
مشاوره ولم يرض صاحباً الا قائم السيف . واشهد اليوم اني من امة فاتحة  
ذات بأس ونجدة وليست بذات رأي وسياسة

لقد بلغت الدولة العثمانية في ايام سليمان القانوني اقصى غايات المجد  
والسؤدد . ولكنه لم يستكف له طماح . ما وقعت نظرتة على بلد في  
الخريطة الا واشتهتها نفسه . ما حملة على ان يعي تلك الفيالق ويسير على  
اوروبا . قد كان له سيف ماض وكان من حق ذلك السيف عليه ان  
لا يصدأ في غمده وكانت له كتاب تموج بصناديد الرجال وكان من حقهم  
عليه ان لا يتعودوا لين المضاجع . فجعل تاجه علمهم وسار بهم يطاء الحدود  
ويتخطى الرؤوس من معقل الى معقل ومن ساحة قتال الى ميدان ظفر

يلعب بالتيجان ويستريح في قصور الملوك حتى اثني وفي كل شعرة من  
شعرات جسمه قطرة من دم

فما ضر هذا السلطان الفاتح لو اجهد هماته في اعمار بلاده ورفع  
المباني في مواضع الاعشاش والخيام واستنزل اهل الغارات من اعالي  
جبالهم واستدرج بهم في الحضارة حتى تزول عنهم جاهليتهم ويأنسوا الى  
الناس ويستلذوا اطيب الحياة

هذا مرام يصعب مناله على من تراخت عزائمهم . اما اولئك الفاتحون  
ووراءهم ابطال نجاتهم والعيون ملأى منهم والصدور منظوية على هيتهم .  
فلا يعجزهم طلاب ذلك . واسنا نلومهم على ما قصر وا فيه عن البلوغ مبلغ  
التمدينين في ايماننا وانما نلومهم على ان لم يتأهبوا في زمانهم كمن تأهب  
من ملوك الغرب . ونذم من كانوا لهم مشاورين وعندهم مقربين من رجال  
لم يحدثوهم الا باحاديث الجنة والنار والخور والولدان ولم يشيروا عليهم الا  
بالجهاد وسبي النساء وجمع الاسلاب ولم يطربوهم الا بسير المتقدمين من  
جبابرة الفرس والعرب والهند واليونان . هزوا المعاطف في كبرياتها  
وعتوها بالمدح الكاذب واعانوا على المبالغة في البذخ وعلى الافراط في  
التجبر . فظنت الملوك ان الرعية عبدان لهم وان ارواح الناس اليهم مرجعها  
وانهم اولى بالعباد منهم بأم والههم واعراضهم

وان من البلية ان تنشأ الذراري على حب الفتك والانتقام . فاذا  
كانت هدنة او تمادي سلم بدلوا من صهوات الجياد فرش النوم ومن بيض  
السيوف مترعة الاكؤس ومن مجالدة الأبطال مغازلة القيان . وان تصبح  
الامة كلها على ثقة من حوادث الايام . فترجم ان لن تبدل حالها وان لن

يخلق الله غالباً لها . وان تؤلف بين الكأس والدين ولا تؤلف بين العقل والدين .

ولاية آيدين . هي احدى ولايات الاناضولي . تستخرج في العام الواحد أكثر من الثلاثة ملايين كيلوغرام من القطن . يباع ربه في البلاد ويرسل باقيه الى اوروبا . وأكثر من المليون قنطار من العنب الذي لا بزر له والعنب المعروف بالرزاقى والعنب الاسود ويصنع من الكلى الزيب . ينتفع اهل البلاد بالقليل منه ويحمل جله بعد ذلك الى اوروبا . ويجني اهل آيدين من التين أكثر من الاربعة ملايين كيلوغرام ومن الزيتون الذي اهمل شجره ولم يلقح ما يربى ثمنه على الثلاثمائة ألف جنيه . هذا والزراعة في تلك البلاد لم يدخلها شيء من مستحدثات الفنون العصرية ولصوص ( الزيبك ) تقطع الطرق وتشن الاغارات على القرى والحكومة لا تحرك ساكناً والمتغلبون يسلبون كل ما وقعت عليه انظارهم .  
وكم بالاناضولي من بلاد كنوزها مقفلة ومفاتيحها بيد الحكومة .  
لاهي تفتحها ولا تأذن للامة بفتحها . هذه اركلي يستخرج منها الفحم الحجري ألوفاً من القناطير وفي طرابزون وارضروم معادن من الفحم والكهرباء الاسود ( الكهرمان ) لم تعمل فيها يد عامل . وفي كوشخانة وطرابزون وتوقاد من معادن الفضة والرصاص والحديد والنحاس مالا يحصيه عد . لا تنتفع الدولة ولا ابناءؤها الا بالقليل منها . وفي ولايتي قونية وانقره مقادير من الملح الصخري وفي شواطئ البحر ملاحات حمة لولا مصلحة ( الديون العمومية ) لاندثرت معالمها وخفيت آثارها  
كان المسافر من منذ عشرين سنة سلفت يخرج في القافلة من

قيصرية الى صامسون . فيقطع في سفره اكثر من الستمائة كيلومتراً وهو في كل اوقاته مطأطيء الرأس من كثرة الأغصان . كل تلك الأرض كانت حراجاً انهارها دافقة وظلالها وارفة ووحوشها سارحة واطيارها متجاوبة . وقد اتيح لي ان أقطع نصف تلك المسافة يوم نفيت فما الفيت بين صامسون وسيواس خمسين شجرة في مكان واحد . خلا ما يعترض المسافر في مدخل توقاد وآماسيا وعلى ( جاملي بل ) . اصابنا المعاول تلك الجذوع فأمااتها وكان منها وقود للناس وكان منها سقائف لهم . ولم يفكر أحد في غرس عود مكان شجرة اقتلعها . وان يلبث سكان الكثير من الولايات الباردة مثل سيواس وغيرها ان يفنوا بقر الشتاء فلا يجدون وقوداً يحفظون بناره حر الحياة في اجسادهم

يعز على الحر ان تبنت هذه الاقطار الشاسمة على ما فصلت من الحال وان يظل أهلها وهم اكثر من الثمانية مليون وايس بينهم ما يزيد على المائتي ألف نفس ممن يعرفون القراءة والكتابة . وتلك معرفة لا تكشف عن البصر غطاء ولا تبث في القلب نوراً . حفظ الناس امثلاً كقولهم القناعة كنز لا يفنى وسفينته التوكل لا تفرق وقام بينهم رجال يقولون لهم ان الدنيا دار غرور ومستودع باطل ولا عيش الا عيش الآخرة . وحببوا اليهم التواكل والخمول وبغضوا اليهم محاسن التمدين . فقالوا : هذه من اعمال الكافرين وهم أصحاب الدنيا ولا ينبغي لنا ان نتشبه بهم ولا ان نزاحمهم فيها وانهم لحاسدونا غداً في الجنة اذ نأوى الى نعيمها الخالد ويلقون هم في النار لعذاب خالد . وبذا فترت الهمم وصغرت النفوس وقلت الآمال . فترى جماعات من الناس جالسين الى اصل جدار او

مستظلين بظل شجرة يتشاءون . حديثهم كله لغو وهذر وانهم ذكر  
الغانيات وقصص الغرام وكل رجل منهم يحمل مسدساً او خنجراً وليس  
في بيت أحد منهم كتاب يستفيد منه

على ان اهل الاناضولي شداد شجعان اهل ذكاء يحبون الكرم  
وللاضياف عندهم منزلة السادة والغريب في ارضهم محمي الجانب مشفع  
لا يشتكي وحدة ولا يعانيهما . وان خيرهم طباعاً واكثرهم دعة واجدهم  
عملاً لمن اهل القرى . اولئك يجنون بالخبز على انفسهم ويضنون بالوثير  
من الفرش والغطاء على ابنائهم ويدخرون ذلك كله لضييف طارق .  
لا يقبلون منه اجراً ولا يسألونه شكراً ولا احدوثة عند الناس وانما  
يصنعون ذلك كرمًا لا تكرما

كان نوب الدهر التي تناوبتهم منذ العصور اقيت فيهم بقية رفق  
حتى جاء عبد الحميد يستنفذ تلك البقية . سل عليهم سيف البغي واستحل  
منهم كل ما حرمه شرع ولم يسمع منهم شكاية ولا انس ضجرة . بل علت  
من جوانب عرشه اصواتهم بالدعاء وكانت منهم الجازرون وكانت  
منهم الاضاحي

كانت الحكومة تنفذ الفارس الواحد من فرسان الجاندرمة ليجي  
لها المال من القرى فلا ينزل الا على ابسطهم يداً واحسنهم حياة . رجل  
لا يملك الا بقرة او بقرتين وليس له من الأرض الا فدان او فدانان .  
فيقول له : اشبع فرسي علفاً واطبخ دجاجات آكل منها ما يشبعني واترود  
منها لسفري واسقني الخمر حتى اسكر وابغني مغنياً او مغنية وانظر هل  
عندك من المال فضلة فاخذ منها حاجتي . ثم يصبح فيطالب الرجل واهل

القرية بمال الحكومة فما يدفع له أحدهم إلا استزاده وما يتمتع عليه احد  
خلقة تكون اصابته الأ ويطرحه ارضاً ويرفع السوط ويضعه من كاهله  
الى قدمه . ثم يأخذ فرشه وما ملكت يدها فيبيعه ويخرج من القرية  
خروج الملك الغالب من المعركة . ولولا اعتقاد في اولئك المساكين بان  
عاصي السلطان ملعون من الله والملائكة وانهم مأمورون بالطاعة له وان  
جار لكفت نفخة واحدة من افواههم يستطيعون بها ذلك الفارس  
وفرسه . ولولا هذا الجهل الخيم على عقول الأمة ما دام الحكم الحميدي  
ثلاثة وثلاثين عاماً

لا تزال بلاد الاناضولي الى يومنا هذا على باهليتها . لم يتغير فيها  
شيء . وكلما سنحت فرصة وشاءت الحكومة ان تستفيدها بمد خطوط  
الحديد او منح امتياز ينمي ثراء البلاد لعبت الجارات المجاورة لعبها . وحالت  
دون النجح . كما ظلت جارتنا العظيمة تعترض الحكومة في الخط  
الحديدي بين صامسون وسيواس . كل دولة تدعي لنفسها حقاً قبلنا  
ونحن لا نعترف بحق لواحدة منها . وربما جاء يوم تُقبل فيه الجموع المتغلبة  
علينا تطاً مقابر الآباء والاجداد وتتخذ منا عيداً وإماماً . فتقول لنا يومئذٍ  
انتم لا تصلحون لأن تسوسوا بل تصلحون لان تساسوا . هذه مكاتب  
أدخلوا فيها أبناءكم طوعاً والأ ادخلناهم كرهاً وهاكم آلات الحرث  
والزرع فاعملوا طائعين قبل ان تعملوا مكرهين . تلك نعم يتصدقون بها  
علينا بعد ان ينالوا أعز شيء لدينا وهو الاستقلال . لا أحيانا الله الى مثل  
تلك الايام

أرض تتكنفها القوقاس وبلاد التركستان والعجم وخليجهم والبحار

التي تجري فيها سفائن التجارة والاستعمار وترى منها اوروبا معقلاً في شرقها يكاد ينيف على غربها ويظل الحاكم والمحكوم مستغرقين في نوم لا تعقبه انتباهة ثم يدعوننا بسلام ! هذا ما لا يكون ابداً

## جغرافية ولايت سيواس

سيواس هي احدى الولايات الجسام التي اختطت في الاناضولي ينتهي شمالها الى طرابزون وشرقها الى أرضروم وجنوبها الشرقي الى معمورة العزيز وجنوبها الى حلب وأدنه وغربها الى انقره وغربها الشمالي الى قسطنوني . فهي بين الدرجة الثامنة والثلاثين والدقيقة العاشرة وبين الدرجة الحادية والأربعين والدقيقة العشرين من العرض الشمالي . وشكلها شكل مثلث غير مستقيم الخطوط . وتبلغ مساحتها ٨٣٧٠٠ كيلومتر مربع . وعدد سكانها على ما جاء في احصاء سنة ١٣٢٥ هجرية هو كما يأتي

مسلمون ومنهم الأكراد والمستوطنون من مهاجري القوقاس	٩٦٨٧٨٦
أرمن	١٤١٦٤٣
أروام	٦٤٥٠١
كاثوليك وأكثرهم من الأرمن	٣٢٧٨
بروتسنت وأكثرهم من الارمن	٤٣٣٦
يهود	٢٢٩
أقباط	٢١٧٣
المجموع ستة عشر وخمسة وثمانون ومائة ألف ومليون	١١٨٥٠١٦

فاذا قسم هذا المجموع على مساحة الولاية اصاب كل كيلومتر ثلاثة عشر نفساً . وعدد الذكور ٦١٨٣٤٥ وعدد الاناث ٥٦٦٦٧١ واني لأتعجب ان يكون عدد الذكور اكثر من عدد الاناث في بلاد مثل بلادنا دائمة الفتن وشديدة الكلف بالتجنيد . وما ذاك الا من حسن الطالع دام للأمة ابتسامه

جبال الولاية - أعظم جبال سيواس سلسلتان . احدهما تبتديء من أدنه ممتدة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي فتقطع سيواس من جنوبها الشرقي حتى تنتهي الى جبال ارضروم . وكان القدماء يسمونها ( اتى طاورس ) . والاخرى تبتديء من جبال أرضروم ممتدة غرباً بين طرابزون وسيواس . وتسمى ( پونت ) . وأعلى شاخحات السلسلة الأولى هو جبل ( قره بل ) فعلو ذروته ٣٢٧٦ متر . أما سائر الذرى فعلوها بين الالفين وبين الالفين والخمسةائة من الأمتار . وأشهر جبال السلسلة الثانية هو جبل ( جاملي بل ) وعلو ذروته ٢٥٠٠ متر وقد سبق ذكره في سياق الكلام على رحلتي الى سيواس

أنهار الولاية - في ولاية سيواس نهران هما أعظم أنهارها . اسم الاول ( قيزيل ايرماق ) ومعناه النهر الأحمر واسم الثاني ( يشيل ايرماق ) ومعناه النهر الاخضر . اما ( قيزيل ايرماق ) فينبع في جبل ( قيزيل طاغ ) الكائن بقضاء ( قوچكيري ) . فيجري في جنوب الولاية متجهاً الى الغرب الجنوبي منها حتى يدخل ولاية أنقرة . ثم يتدفق الى الغرب في مجرى كالقوس الكبير فيطوف حدود ولاية قونية وحدود ولاية قسطموني . ثم يعود الى الشمال الغربي لسيواس فيأخذ مجراها بينها وبين قسطموني وطرابزون .

ثم يدخل ولاية طرابزون ويظل بها باقي مجراه الى ان يختلط بالبحر .  
وطول (قيزيل ايرماق) ألف كيلومتر . أكثر من نصفها يجري بسيواس  
واما (يشيل ايرماق) فحاصل من تلاقي نهيرين . احدهما نهير (طوزانلي)  
ينبع في شمال جبل (كوسه) وطوله ٢٣٠ كيلومتر وثانيهما نهير (چيقريق)  
ينبع في (چاهلي بل) وطوله ٢٢٠ كيلومتر . وانما يتلاقى النهيران بعد ان  
يجتازا (قاز اووه) . فيمر (يشيل ايرماق) بمدينة اماسيه فيتلاقى بالنهير  
المسمى (ترس آقان) ثم يقطع (طاش اووه) فيلحق به نهير (كلكيت)  
فيتدفق حتى ينتهي الى البحر الاسود مجتازاً بولاية طرابزون  
وقد شاءت الحكومة الحميدية ان تطهر (قيزيل ايرماق) وتسير  
فيه السفن تسهيلاً للتجارة ولكنها استكثرت النفقات فرجعت الى  
العجز وسكنت

الهواء والصحة في الولاية - الأرض في ولاية سيواس كثيرة  
اختلاف المواضع صعوداً وصوباً وماءً وتربةً وشكلاً وحالاً . وهذه  
الاختلافات تستحدث الاختلافات في الصحة . اذ لا يصح ان يكون  
اقليم مدينة سيواس وهي تعلو عن سطح البحر ثلاثمائة وألف متر مثل  
اقليم اماسيا وهي لا تعلو عن سطح البحر الا اربعمائة متر . وبعد فالولاية  
كلها جيدة الهواء خلا مواضع قليلة فيها . وتلك المواضع هي ولا ريب  
خير من ولايتي طرابزون وادنه . ولولا جهل المستوطنين وافلاس  
الحكومة الزائلة وخستها نخلصت البلاد من امراض كثيرة لازمتها  
ملازمة المستوطن . فان الحمى التيفوئيدية وحمى التيفوس لا تكفان عن  
الفتك . وتأتي بعدهما الحمى القرمزية ثم السل وضحاياهما قليلة والله الحمد .

اماداء الحصاة فلا يغادر مدينة سيواس ابداً . على ان زيادة المواليد مضطربة عاماً فعاماً . ففي ترداد كل عام نحو العشرة آلاف مولود أجل ان هنالك عظام لا تفلح في مغالبتها المساعي . كتوالي التغيرات الهوائية في أيام الربيع وتمادي المطر اياماً كثيرة يقلع ليلاً ويندق نهاراً ودوام الوحل والرطوبة في الطرق كلها . ولكن مضار هذه الاشياء لا تذكر اذا قيست الى ما يتولد من البرك والمستنقعات من الامراض . وتلك تسهل ازالها بما لا تعجز عنه الحكومة لو تكلفتها . هذا ودرجة الحرارة لا تتجاوز الثمانية والثلاثين في الشتاء تحت الصفر ولا الثلاثين فوقه في الصيف

الزراعة في الولاية - ولاية سيواس هي من اكثر ولايات الاناضولي خصباً ومن اجودها تربة واحسنها مرعى . لا يجد الباحث المجد في جبالها الشاخنة وسهولها المنبسطة موضعاً لا يصلح للزرع الا نادراً . وانما يختلف خصبها باختلاف ارضها . فما ينبت في توقاد وفي اماسيه لا ينبت في مدينة سيواس وفي ( قره حصار ) . تجود تلك الاراضي بما يفرس فيها من اعواد وما يلقي فيها من بذور سوى ما كان خاصاً منها بالبلاد الحارة كالتمر وما كان أليفاً بشواطئ البحار كأشجار الليمون والبرتقال والزيتون غير ان الزراعة في سيواس مهمة اهمالاً . فلا اهلها يعنون بها ولا الحكومة ترغبهم فيها . وهم يرى السائر في أرجائها من ارض خصبة بالنبات البري تركها اصحابها عجزاً عن استثمارها . وفن الزراعة عندهم مفقود . وليس في تلك البلاد اثر للآلات التي استحدثها العصر الجديد . ولا بها شيء من معدات النقل يبعثون به ثمرات ارضهم الى البلاد القاصية

على ان توقاد وآماسيه تجودان من الفا كة بكل لذيذ طيب . فليس  
على وجه الارض تفاح مثل تفاح آماسيا . وعنب توقاد مشهور يخمر نبيذاً  
ويقطر عرقاً ويؤكل فلا يستنفد ولا يعل . وكرومها غاية في الحسن  
والكثرة . ولكنها لم تتمتع يسير ما جاد به الترقى العصري في اسلوبها  
حيوانات الولاية ووحوشها واطيارها - البقر والغنم والماعز  
وداجنات الطيور في الولاية كثيرة يقتنيها الموسر والمعر . اشترت فيها  
بقرة حلوباً ومعها عجلاً بثلاثمائة قرش . وفي ذلك دليل على الكثرة  
والابتذال . والدجاجات والحمامات الداجنة والبرية لا يحصيها العد . لقد  
كنا نبتاع الزوجين من الحمام البري بقرش واحد . وكذلك الحجل .  
اما الدراج فكنا نذهب لصيده ونجهد في طلبه والبط والاوز وسائر اجناس  
الطير اكثر من ان يعد . هذا مع تهافت الناس على الصيد في غير اوانه  
ومع كثرة الطيور الخاطفة كالعقبان والصقور . وجبال الولاية كثيرة  
الارانب والثعالب والذئاب . وانما تكثر ذئابها في الشتاء فهي تطوف  
جماعات فيشتد فتكها ويعم ضررها . وفي حراج العزيزية ونيكسار من  
الدب والوعل والخنزير البري ما لا يجهد قناصاً . ولأهل ولاية سيواس  
كلف شديد باقتناء الخيل واكثرها من الجنس القوقاسي . وأشدهم  
عناية بها وكلفاً هم المهاجرون من القوقاس ( الجراكسة ) . ففي قضاء  
العزيزية وحده من الخيل نحو الثلاثين الف رأس . وهذه الخيل أصلب  
من خيول العرب قوائم وأحمل ظهوراً وأكثر صبراً على السير والجري  
ولكن الخيول العربية احسن منها اشكالاً واكرم احساباً وأسرع ركضاً  
وأسلس قياداً وألين متوناً . وقل في الجركس رجل لا يملك جواداً او

جوادين . وقد يجد فرسان الجيش العثماني في سيواس حاجتهم من الخيل غير أنهم يجدون تربيتها صعبة المرام

التجارة والصناعة في الولاية — لو كانت ولاية سيواس متمتعة بما تتمتع به بلاد الله من اسباب العمران لأفادت الدولة واستفادت . فان أهلها ولا سيما الارمن منهم أهل جِد واجتهاد لا يعرفون الملل ولا يعجزهم شيء . وانهم مع ما بلوا به من الحرمان من الآلات والادوات يصنعون لانفسهم ما يكون لهم معاوناً على الاستمرار في صناعتهم . عرفت صانعا من مهرة صناعتها اسمه الحاج اوسكيهان . كان يصنع بنادق المارتيني والمسدسات فتفوق ما تصنعه مصانع اوروبا . ضربت الحكومة الحميدية على يده وقالت انت ارمني وربما اعنت قومك وأعددت لهم عدتهم من السلاح . فكف الرجل عن البنادق والمسدسات واخذ يصنع الاقفال والكوانين وغيرها . ثم اتهمته الحكومة بضرب النقود الزائفة فصادرت آلاته وادواته وتركته يطلب قوته فلا يجده . فلما أعيته الحال فرّ مهاجراً الى اميركا وبلغني بعد ذلك انه بات يلعب فيها بالذهب . وعرفت صانعا آخر اسمه نورادنجيان . كان لا يحتاج آلة من الآلات الا صنعها بنفسه . وله من المصنوعات ما يتباهى به كل محب للوطن . ولأهل سيواس مهارة تذهل عندها الابواب في صنع الخناجر والمطاوي . فقد فاقوا في ذلك على صناع شفيلد . غير ان مطاوي سيواس لا تشبه مطاوي شفيلد حسناً ولا شكلاً . أما الخناجر الجركسية فليس في صناع الاقطار من ينافسهم فيها

كذلك التجارة . فلقد اقتنيت من نفائس مصنوعات القوم ما لم

أر خيراً منه — ولو تهباً لي استحضار بعضه لفعلت . ولو رأى الفارسي  
الكريم مهارة الصياغ فيما يصوغون من الخلي ذهباً وفضة لتأهى في  
تعجبه . كل ذلك يبدعونه ويحيدونه بلا آلة تذكر سوى ما لا تخلو منه  
كف حداد شرقي من مبرد ومحفر وما مثلهما

ومن جيد الصناعة السيواسية نسج الحرير . غير أنهم لا يبدعون  
في اجزائه وانماطه . اما النسيج فحسن دقيق واما الالوان فكثيرة زاهية .  
فلا تروج في اسواق الغرب . وأهل أماسيه وتوقاد متفردون بصناعة  
نسج الحرير

اما الطنافس والسجادات فقد فأت ما يصنع منها في بلاد الفرس  
جودة ووروثاً . وقلت نسوة هنالك لا تحمّن نسج السجادات . هذه صناعة  
لا تكاد تجهلها فتاة سيواسية ولا يكاد يخلو منها بيت في سيواس .  
ولتلك المنسوجات منزلة في البلاد الغربية لا تسموا اليها بصناعة من  
بضاعات الشرق بأسره . ويبلغ عدد المصانع التي تصنع السجادات  
والطنافس في مدينة سيواس وضواحيها أكثر من العشرة آلاف مصنع .  
لا يعمل فيها الا النساء والبنات . وقد تجد نساء القرى في هذه الصناعة  
تسلية اذا اشتدت ايام الشتاء وطالت البطالات . والطنافس في جودتها  
وبهائها درجات . فالطنافس المسماة (رشوان) هي المتفردة بمنتهى الرونق .  
لا ينصل لها صبغ ولا يتغاب عليها القدم . ومثلها الطنافس المنسوجة  
بقضاء العزيزية وتسمى صارز وافشار . ودون هذه الاستار الكردية  
وتنسج بقرية (قرانلق) التابعة لقضاء (قانغال) وفي قرية (ايوالي دره)  
التابعة لقضاء (دارنده) . ودونها الطنافس المسماة (ايلبكلو) فهي وان

أشبهت نوع ( رشوان ) احكاماً ولكنها لا تماثلها حسناً . وهي تصنع في ناحية ( ايلبكلو ) ثم تأتي الطنافس المعروفة بالمشبك وتنسج في أكثر القرى التابعة ( لقانغال ) و ( يلديز ايلي ) وغيرها

وتبقى هذه الطنافس الاخيرة منها أكثر من الخمسين عاماً . تطاؤها الاقدام وتستعمل في الخلوات على التراب وغيرها وهي لا تزداد الا جودة . وكلما تقادم عهدا كثرت قيمتها

وسجادات سيواس هي من بدائع الصناعة في هذا العصر . عرف ذلك الاجانب وادركوا رجحانها على سجادات الفرس . فاغلوا اثمانها وتنافسوا في اقتنائها وتسابقوا الى الاكثر منها . وفي سيواس مصنع اليوتي الشهير وهو شركة بين الموسيو آلر اليوتي والموسيو بيكر والموسيو داندريا وتختلف قيمة ما يصنع من السجادات من عشرة الى خمسين جنياً ثمناً للسجادة الواحدة

ولا تقف المنسوجات السيواسية عند هذا القدر . بل هناك انواع اخر من الصوف والكتان والقطن . ينالها الفقير ويمجّب بها الغني ويتخذها المسافر تحفة وتهادها الاحباب فيما بينهم . ويوم تمد خطوط الحديد بين سيواس وصامسون يسعد اهلها ويكثر رزقهم وتجدد فيهم العزائم المعارف في الولاية - اذا لم تكن سيواس أكثر ولايات الاناضولي جهالاً فهي من أكثرها جهالاً . ذلك بان المسلمين طبعوا على حب قديمهم فلا يريدون الحديد منه بدلاً . ولا تزال في خزانات بعض المتعصبين كتب طوت معارف هذا العصر لغوها . وينظر اولئك القوم الى ما كلف به شباب هذا العصر من المعارف . فلا يجدون فيها لذة ويكرهون

تداولها بينهم . هذا شأن من في بيوتهم كتب يقرأونها : فما ظنك بمن ليس في بيوتهم الا المسدسات والا البنادق . اما المسيحيون فهم فريقان قليل من الروم وكثير من الارمن . فقريق الروم لا يفوق المسلمين في حال من الاحوال . ولا مشابهة بينهم وبين من عرفت من روم الآستانة وازمير وغيرها . وقل فيهم الغني ومن له جاد او منزلة تميزه عن غيره . وفريق الارمن بمثابة من العلم والصناعة والتجارة لا يسامهم فيها أحد . ولهم السبق في كل مضمار . ولولا ما دهمتهم به المذابح من نهب اموالهم وقتل سرائهم لبلغوا شأواً تقصر عنه الهمم

والأرمن قوم أولو جد ونشاط . كلفون بالعلوم لا يستكف لهم شوق ولا تفل لهم عزيمة . فهم يتسابقون الى مدارس اليسوعيين والبروتستانت والى مدارسهم الاهلية فيصيّبون منها الحظ الاوفر . والمسلمون يصدون عن سبيل تلك المدارس خوفاً ان تفسد على ابنائهم دينهم . واذا خالفهم في رأيهم مخالف لجوا في الواقعة به وأطالوا اجتنابه . وكم يرى نزيل سيواس في أهل الحرف وابناء التجار من سكانها الارمن شباناً اذا تكلموا بالفرنساوية او بالانكليزية ما شك انهم تعلموها في مدارس اوروبا . وليس في ابناء الوجهاء من المسلمين خمسة يكتبون التركية ويؤدونها صحيحة . وليس في مدينة سيواس سوى مدرسة اعدادية واحدة وهي كأحسن ما رأيت من البنائات وأوسعها . وحظها من العلم كحظ الصخرة الصماء من النبت . والكتب التي تقرأ في هذه المدرسة كتب مهجورة لا يعرفها اكثر فضلاء هذا العصر . مثل كتاب المشذب في قواعد اللغة العربية . كله تصريف فعل نصر . فترى صحائفه حواشي

وانماطاً بنصر ينصر نصر منصوراً منتصراً مستنصراً منصراً متناصرًا .  
واللغات الغريبة لا يحسنها الا سائذة . والعناية بعلوم الدين بالغة منهاها .  
سألت بعض المتقدمين من تلامذة تلك المدرسة أسئلة فيما يعاني  
من الفنون فبدا عليه العجز وبهت لا يجد جوابًا . ثم سألته عن اركان  
الصلاة والصوم فانطلق انطلاق الصقر من وكره . فأخذ مني التعجب .  
قلت : ما بالك تحسن الجواب في هذه القواعد واذا بلغت الى غيرها  
غلب عليك الوجوم . فقال : هذه من امور الدين . لا يكون المسلم مسلمًا  
الا بمعرفةها . اما تلك فليست من الدين في شيء . فاستشعرت في فؤادي  
حسرات على تلك الشبيبة وقلت : لقد بلغ بكم السفهاء مبلغًا لا يرجى بعده  
خيركم وأيقنت ان للبلاد العثمانية ايامًا باقية من الشقاء لا بد لها ان تستوفيها  
وفي سيواس جوامع عتيقة بها معاهد للعلم يسمونها مدارس . وهم  
يسمون المدارس مكاتب . وقد نحوت نحوهم في كثير من مواضع هذا  
الكتاب . وانما يجاور في تلك الجوامع اناس من أهل البطالة فرارًا من  
الجندية واكتفاء من الرزق بما لا يتجشم له تعب . فاذا أفلح في علومهم  
أحدهم رأى في نفسه مفرد العلم وخرج في طلب الوظائف او جلس في  
المساجد يعظ الناس ويضل عقولهم ويميت نفوسهم بالتمصب . ولا يظهر  
الله البلاد العثمانية من هؤلاء القوم الا بعد سنين عديدة أقلها عصر  
واكثرها عصران

ومن تمام البلية ان نظارة المعارف تتخذ أسائذة مدارسها من رجال  
تشفع فيهم القرابات والوصايات وما يهبون لبعض رجالها من المال . فلا  
تختار ولا تمتحن . والتلامذة يذهبون الى مدارسهم ومعهم الاسلحة من

مسدسات وخناجر ينازل بعضهم بها بعضاً . وقد يكمنون في الطريق لمن يشدد عليهم العقاب من الاساتذة ولمن يخافونه عند الامتحان . فيخرجون عليه متوعدين ولا يفارقونه الا اذا حلف لهم الايمان المغلظة ان يراعي جانبهم . وهذه معاييب ما أظن ان لها أشباهاً في سائر أقطار الارض

## آثار القدماء في سيواس

سيواس هي احدى المدن التي كرت عليها العصور الخوالي وتعاقبت فيها الدول المختلفة . كل دولة قامت فيها او أقبلت عليها خلفت لنفسها آثاراً . فلما أتت دولتنا أخذت تمحو آثار سابقاتها غير مستحثة شيئاً تبقيه للأجيال المنتظرة . قام آباؤنا وأسيافهم وأعنة خيلهم بأيديهم يثلون العروش ويقلبون الممالك . فما ورثونا مما يورث الآباء أبناءهم الا اخبار وقائع خفقت بالنصر راياتها . وهذه مفاخرنا التي نساجل بها أمم الارض ولقد مرّت بسيواس حوادث من الايام . فأقوت معالمها ودرست آياتها . تلك اغارات المتغلبين من أمم الارض . ما زالت تأتكل حتى أكلها الأبد

وكان من حق سيواس ان يبقى بين أتقاضها بعض النفائس من الدمى والحجارة المنقوشة والادوات والآلات وما استعان به اهلها الاولون على مصانعة الحياة . ولكنها اليوم صفر من ذاك كله . وربما عثر المحترفون في الارض وقطاع الصخور على تماثيل صغار من الرخام او النحاس . فيكسرونها ويفنونها . زعماً منهم ان تلك النفائس آلهة الكافرين عبدوها من دون الله . فهم يحطمونها انتقاماً منها اذ لم يتمكنوا ان ينتقموا

من أربابها . وهناك بقايا اطلال من أيام الرومانيين مثل الجسر الروماني الكائن على مسيرة ساعة ونصف من شمالي سيواس الشرقي . وكالقبّة التي في خارج المدينة على طريق صامسوت وأنا أحسبها بنيت بعد السيد المسيح عليه السلام . ومثلها الكنيسة المسماة ( خوي كسان ) وهي تبعد نحو الأربعة أميال عن تلك القبّة . هذه آثار لم أهتدِ إلى تاريخ اعول عليه في نقل أخبارها . شاهدتها مراراً في اقوائها ودورها . فطأطأت الرأس عندها اجلالاً وأنشدت ما قال صريع الغواني

هاجت وساوسه برومة دور دثر عفون كأنهنّ سطور  
ولو كانت هذه الآثار في غير بلادنا لجدد دارسها ولأعيد لها روتقها  
غير أننا رجال حرب وأسنا رجال عمران . ولما نظرت إلى المساجد والجوامع رأيتها أقل خراباً وأبقى على حدائق الدهر . فعلمت ان الذين عنوا بها جعلوا عنايتهم للدين دون التاريخ . وها أنا ذا أذكر هنا بعض ما عرفت من أمر تلك المعاهد

المدرسة الشفائية - أنشأها كيكوس الاول بن كينخسرو أحد الملوك السلاجقة . وقد جعلها مستشفى ومدرسة طبية . كما تدل عليه النقوش والكتابات التاريخية التي على بابها . والمدرسة بناء مستطيل الشكل في وسطه رحبة واسمة . قامت على جوانبها عمد من الصفاح تعلوها حنايا من الرخام المزين بأنواع النقوش جعلت تحتها الحجرات . وقد نقش على باب المدرسة هذا الكلام بالعربية : « أمر بعمارة هذه الدار الصحية السلطان ظل الله في العالم ادام الله ايامه عز الديننا والدين ركن الاسلام والمسلمين سلطان البر والبحر تاج آل سلجق ابو الفتح

كیکاوس بن کیخسرو برهان امیر المؤمنین فی تاریخ سنة اربع عشرة وستائة . وفی أعالی تلك العمدة وأسافلها نقوش كأبدع ما رأته العیون . وعلى ابواب الحجرات نقوش وكتابات بأحرف بارزة تتضمن آیات قرآنية وأحادیث نبوية . وفی إحدى تلك الحجرات ضریح كیکاوس بن کیخسرو بآنی المدرسة . قبتها ذات شكل مخروط یعلوها شيء كثير من النقوش الصينية والكتابات الكوفية . وعلى باب الضریح لوح من قطع الآجر طوله خمسة امتار وتسعون سانتیمترأ وعرضه خمسة واربعون سانتیمترأ . نقش علیه الكلام الآتی بالفسیفساء

( لقد اخرجنا من سعة القصور الى ضيق القبور يا حسرتاه ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه تحقق الانتقال وتبين الرحال عن كل ما اوشك الزوال فی الرابع من شهر شوال سنة سبع عشر وستائة )  
وبین هذا اللوح وأعلى الباب موضع فيه كثير من النقوش البارزة من الصفاح والفسیفساء . وعلى الجدار هذه الآیه مكتوبة بالخط الكوفي ( كل من علیها فان وبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام صدق الله ) وكتبت فوق الباب ایضاً فی أقرب المواضع منه : ( إنا لله وإنا إليه راجعون ) ثم ان علی جهتي باب الضریح نافذتين كتب فوق اليمنى منهما ( عمل استاد أحمد . . . ) وهو ولا شك اسم الصانع الماهر الذي حلت عینه ذاك البناء بتلك البدائع

وفی داخل حجرة الضریح أضرحة أحدها ضریح كیکاوس والأخر لا یعلم من فیها ولعلم من أهل بیته . وعلى صناديق تلك الاضرحة بقايا نقوش من الفسیفساء تدل علی انها كانت مزینة بها . ومن یدري ایه ید

مدت الى هذه النفائس فاستلبتها . ولقد ذهب جماعة الى ان بأحد تلك  
الاضرحة جسد الأمير أرطغرل بك ابن السلطان يلدirim بايزيد خان  
ولكن ليس هنالك ما يؤيد ذلك

هذه المدرسة التي كانت صاحبها أخذها كلية للطب ومستشفى  
للمرضى حلَّ بها البلاء من تيمورلنك . وقد استحفظ بما بقي منها على ما  
وصفت ملوك آل عثمان وجعلوها معهداً للعلوم الدينية من منذ عام ١١٨٢  
وبها اليوم من الطلاب اكثر من الخمائة . ولها اوقاف في القرى والمزارع  
المجاورة لها يتفق عليها من ريعها

مدرسة چفته مناره - اي مدرسة المنارتين . هي امام المدرسة  
الشفائية . وقد دلت حاتها والنقوش التي بقي قليلها على بابها وجدرائها انها  
كانت اعظم من المدرسة الشفائية . فان ما عليها من التجزيع والتزيين  
تحار فيه العقول . ما شئت من رونق وما شئت من محاسن . لقد رأيت  
من جمال ما خلف القدماء كل رائع وكل باهر . فما اجد في كل ما مرَّ بي  
شيئاً اقرنه الى هذه المعجزات الصناعية . شيد جانبا الباب في هذا الموضع  
بالاجر المرصوص احسن رصّ وتخلل ما بين كل آجرة وأخرى تطعيم  
بالصيني وبالفسيفساء وكذلك المنارتان القائمتان على جانبي الباب وصار  
اسمها عاملاً للمدرسة

يروى ان هذه المدرسة انشئت لتكون منتجاً لطلب رواية  
الحديث . وقد زين بابها بالزينة العربية وكتب عليه الآيات القرآنية  
والاحاديث بالخط الكوفي . وكتب معها هذا الكلام : ( أمر بعمارة  
هذه المدرسة الصاحب الاعظم ملك الملوك الوزراء في العالم شمس الدنيا

والدين محمد بن محمد بن محمد صاحب الديوان خلد الله دولته في سنة سبعين  
وستمائة ) . ويؤخذ منه ان باني المدرسة هو احد وزراء الدولة السلجوقية  
فاذا نظر المرء من الباب الى داخل البناء رأى ميداناً واسعاً فيه آثار  
غرف ودار رواية الحديث . آثار كان بعضها باقياً الى أوائل زمان عبد الحميد  
الثاني . ثم عفت فيما عني في عهده . وكانت نظارة المعارف بدأت في انشاء  
مدرسة للصناعة بموضع من هذا الميدان ولكنها عدلت عن افتتاحها  
لاسباب لا يعلمها الا الله وبقي ما أنشأته خاوياً على عروشهِ الى ايامنا  
المدرسة البروجية - - وهذه تقرب من موضع المدرستين السابقتين .  
وبابها مزين أحسن زينة ومحلى بأجمل نقش . وعلى حيطانها آيات وأحاديث  
كتبت بماء الذهب ولم يتغير من بهجتها وروائها شيء الى اليوم . وفي  
داخل المدرسة ميدان رحب قامت على جوانبه العمدة الحجرية تعلوها  
آطار متسلسلة . يتخلل تلك الآطار مواضع الحجرات . والعمدة كلها منقوشة  
بالآيات والاحاديث  
أنشأ هذه المدرسة مظفر الدين الغازي . وضريحه على يسار الداخل  
من الباب . وعلى الضريح بقايا نقوش بالصيني وبالفسيفساء تدل على انه  
كان ملبساً بها . وهذه المدرسة هي مما أصابته معاوية تيمورلنك . وقد  
كتب على الجدار القائم قبالة الداخل هذا الكلام : ( بنى هذه المدرسة  
المباركة في ايام السلطان الاعظم غياث الدين وابو الفتح كيخسرو بن قليج  
ارسلان خلد الله ملكه العبد الضعيف المحتاج الى رحمة ربه الغفور  
المظفر ..... غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين في شهور سنة  
سبعين وستمائة )

هذا ويرى الداخل الى البناء دهليزاً صغيراً ينتهي الى رحبة هي في وسطه كما تقدم . وفوق الدهليز قبة صفت بالحجارة ثلاثة صفوف حلزونية على شكل هندسي يهر الانظار

كوك مدرسة - ولعل المراد بلفظة كوك السماء . وهي أشد البنايات العتيقة بقاء على غير الايام ونواب الحدثان . نقوشها ليست أدق من نقوش ( جفتة مناره ) ولا تقاربها رونقاً ولكنها اكثر جدة . على بابها منارتان كذلك كالتي قبلها . منقوش على أعلى بابها : ( عمر في ايام دولة السلطان الاعظم شاهنشاه المعظم غياث الدنيا والدين كيخسرو بن قليج ارسلان خلد الله دولته ) وتتش تحته : ( أمر بعمارة هذه المدرسة المباركة في ايام دولة السلطان الاعظم شاهنشاه المعظم غياث الدنيا والدين كيخسرو بن قليج ارسلان خلد الله دولته الصاحب الاعظم الدستور المعظم أبو الخيرات والحسنات نحر الدولة والدين علي بن الحسين أحسن الله عاقبته في غرة محرم سنة سبعين وستمائة ) . وتتش تحته ( عمل استاد كالويان القونوي ) . ويدخل الى المدرسة بدهليز تعلوه قبة بديع شكلها . ثم يتجاوز الداخل ذلك الى رحبة البناء . فيرى الجامع على يمينه وكل حيطانه منقوشة أحسن نقش . ومحراب الجامع غاية في البهاء . والخطوط التي على الجدران مكتوبة كلها بالخط الكوفي

ان هذه المدرسة أصغر من اخواتها ولكنها أحفظ لجدتها . وكان معاول تيمور نبت عنها فلم تحدث بها ضرراً بالغا . وهي اليوم أعظم بنايات سيواس عمراناً

كوجك مناره - اي المنارة الصغرى . هذا اسم شائع بين العامة

الضريح عظيم هو من بقايا آثار السلجوقيين على ما يظن أكثر الناس .  
 صلب . منيف ترتفع قبة عن الأرض ستة عشر متراً . ليس عليه من  
 النقوش والزينة ما يملأ العين . ولكنه محكم يدل ظاهره على جودة في  
 الصناعة . ويروى ان المدفون هنالك هو من الرجال اولى الجاه والسلطان  
 وانه نسل احدى بنات السلجوقيين واسمه ( الشيخ حسن بك ) . ولقد  
 كتب على الضريح : ( وفات مرحوم مغفور . . . . . سلطان شكوفة  
 شجرة سعادت روضه مملكت شيخ حسن بك نور الله ) . ولم يتسن  
 لأحد تحرير تاريخ الرجل

هذه آثار استصعبت تصاويرها معي حين غادرت سيواس .  
 واستخرجت بيانها من التقويم الرسمي الذي وضع في ولاية الامير الحر  
 رشيد عاكف باشا بن المرحوم عاكف باشا الشهير . وهنالك آثار حجة  
 كالحصون التي على جبال آماسيا وتوقاد ونيكسار وغيرها . صممت عنها  
 كتب التاريخ . فلم أتمكن من ذكر شيء تكون فيه فائدة لقارئ هذا  
 الكتاب

واردات ولاية سيواس ونفقاتها في سنة ١٣٢٣ مالية

نفقات			واردات	
نوع	غرش	باره	نوع	غرش
داخلية	٢٦٦٢٩٦٩٠٥		الويركو	٧٦٤٣٥٦٤٦٨
مالية	٢٦٨٨٤٦٥٣٧		التمتع	١٦٠٢١٦٨٢٣
ذاتية	٤٦٠٧٧٦٨٧٨	٢٠	البدل العسكري	٧٦٥٧١٦٠٥٣
المجموع	٩٦٥٩٢٦٣٢٠	٢٠	المجموع	١٦٦٠٢٨٦٣٤٤

نفقات			واردات	
نوع	غرش	باره	نوع	غرش
ماقبله	٩٦٥٩٢٦٣٢٠	٢٠	ما قبله	١٦٦٠٢٨٦٣٤٤
شرعية	٥٦٠٤٦٦٠٧٨		الانعام	٧٦٢٢٦٦٥٩٠
عدلية	١١٦٠٨٤٦٢٤٩		الاعشار	٢١٦٢٥٣٦٩٩٣
الويركو	٢٦٠٧٢٦٤٥٠		الاملاك الاميرية	٣٦٦٨١٩
الجاندارمه	٣٦١٥٣٦٢٨٤		رسوم متنوعة	٣٠٣٦٧٨١
البوليس	٥٨٨٦٤٣٧		الحراج والاشخاب	٣٦٧٦٠٠٥
اسهم	٢٦٣٤٢٦٢٦٠		المعادن	١٠٦٨٩٣
الحراج	٧٥٦٧٧٧		عوائد الطابو	٧٩٨٦٥٥١
المجموع	٣٣٦٩٥٤٦٨٥٥	٢٠	مصاريف المحاكم	٤٠٥٥٧٠١
			حاصلات متفرقة	٩٨٠٦٩٦٣
			المعارف	١١٧٦٠٠٩
			توقيقات الرواتب	٥٤٦٩١٢
			المجموع	٤٧٦٥٨٤٦٥٦١

يتبين للقارىء الكريم اذا قابل واردات الولاية بنفقاتها ان النفقات تزيد على الواردات ١٣٦٢٩٧٠٥ غرش ونصف . وليس للمعارف في هذا القدر كله غرش واحد . هذا والدولة في اقاصي الحاجة . ووالي سيواس اذ ذاك رجل حازم شهيم هو رشيد باشا عاكف . فقد وقف للسارقين والمختلسين بالمرصاد . فواقع امرؤ منهم في يده الا احل به العقاب الشديد . وكان لا يستثني في ذلك احب الناس اليه . فلونما اليه يوماً ان وحيدته اختلس درهماً واحداً لما صده عن عقابه اشفاق ولا اخذته عليه رحمة وكان رشيد باشا في اوائل ايامه قد استوثق من حكومة الآستانة

ان لا يضطر الى التضيق على موظفي الولاية في صرف رواتبهم . وقال  
ان الموظف لا رزق له الا ما يتقاضاه من أجر عمله . فاذا انقطع عنه  
هذا الرزق بقي حائراً بين ان يفتضح وعياله او ان يمد يده الى أموال  
الحكومة . واعلم رجال عبد الحميد انه لا يستطيع ان يسوس ولاية سيواس  
اذا لم يتقاض الموظفون اجورهم في اوقاتها . فاجيب الى طلبه شهوراً .  
ثم وضع عزت العابد طريقة المركزية . وهي ان لا تصرف الرواتب  
لاصحابها الا باذن يأتي الى كل ولاية من نظارة المالية . فاطال رشيد باشا  
شكايته ورفع الى المايين استقالته . فلم يجد ذلك نفعاً . وكانت الرسائل  
البرقية تأتي من الآستانة طالبة ارسال المال بمئات الالوف من القروش .  
فلا يجتمع في خزينة الولاية مقدار من المال الا ويسلم الى البنك العثماني  
فيحول من ساعته الى المالية . وقد خالف دفترداران في بعض الولايات  
أمر المالية وصرفا رواتب شهر واحد للموظفين . فعزلا لشقوتهما وحكم  
عليهما بان لا يوظفا في الحكومة ما عاشا . فوقع هذا الحكم في قلب  
كل دفترار رعباً لا مزيد عليه

ولقد رأيت عيناى مشاهد كلما ذكرت لها وجدت لها وجداً عظيماً .  
كنت اذا جاء آخر الشهر اذهب الى الدفتردار مطالباً بمرتبي . وكان  
الدفتردار صديقاً لي . فاجلس على كرسي امامه وأظلم ارى أفواج الداخلين  
والخارجين وهم يمرون بيني وبينه . بأيديهم صكوك تضاعفت متونها  
وحواشيتها أرقاماً وتواريخ حتى أصبحت كالتائم . يتقدم الرجل من الجماعة  
محتشماً متخضعاً . فيحيي الدفتردار تحية العبد لسيده ويضع صكه على  
المكتبة التي امام الدفتردار . فلا يلبث ان ينبد للرجل صكه ويصيح في

وجهه : لم يأتي اذن المالية بصرف غرش واحد وقد أنفدنا طلباً ثانياً  
بالاذن ومتى نجاء الجواب بالقبول تأخذون رواتبكم

- متى يأتي الاذن من المالية

- ذلك علمه عند الله

- نحن . يا سيدي . مضيقون . ديوننا كثيرة وتفقاتنا جمة . وقد

مضى علينا ثلاثة أشهر لم نأخذ فيها درهماً واحداً من رواتبنا

- ان لغيركم اربعة اشهر وخمسة اشهر . وهم بعد ذلك صابرون .

احمدوا الله على ما انعم به عليكم . ان الموظفين في الولايات الاخرى لهم من

الرواتب المتأخرة سبعة اشهر وثمانية اشهر . فاتم اليوم احسن منهم حالاً

وقد ينتهي الجدال بهذا القدر . وقد يتعداه الى الوعيد والشتم من

الدقتردار والمطالب . فيتبادر الحجاب والجاندرمة . فيقودون المسكين

الى الباب . وهناك جموع من الرجال والنساء والايتم يتصايحون

ويتباكون . لا يثنى عليهم نصيح ولا يخوفهم وعيد . وكان رشيد باشا أمر

بايثار هؤلاء وتقديمهم على غيرهم اذا جاء الاذن بصرف الرواتب . ولكم

ازدحم فريق من الضباط عند باب الدقتردار ففلق دونهم . ثم دفعوه

ودخلوا عليه يريدون ضربه . وعهدي به في ابانات تلك الشدائد يترك

غرفته ويجلس في غرفة غيرها لا يظن أحد انه فيها . ولا يدل على مكانه

يومئذ الا كل من يعرفون له ايثاراً عند الرجل

ومن غريب ما وقع لي مع هذا الرجل اني قصدت غرفته في أشد

ايامي املاقاً . وكانت تأخرت لي عنده رواتب ثلاثة اشهر . فرأيت الى

جانبه جماعة من كبار الموظفين يدخنون سجائرهم سكوتاً . يراقب بعضهم

بعضاً . فلما بصروا بي تناولتني اعينهم . فسلمت وجلست ناحية انتظر  
تفرغاً منه . فكلمه أحد الحاضرين في راتبه . فتبسم في وجهه الدفتردار  
والتفت اليّ وهو يقول :

— البك في أشد ما يعتاد المرء من الضيق . ولقد يأتيني فيرى ما  
أنا فيه من الكرب فلا تطيب نفسه الى مخاطبتي في أمر راتبه . وها هو ذا  
أمامك . أرايته نطق بحرف ؟ لوددت ان يكون معي كذلك كل اصدقائي  
فلما سمعت كلام الرجل أشرت اشارة الموافقة على مضمض . ثم  
أقت دقائق قليلة ودعته بعدها وخرجت من عنده وأنا أتعجب من  
لطف حيلته في اعجازي عن المطالبة . وانما ذكرت هذه الاشياء بياناً لما  
كان يأكله عبد الحميد واعوانه من مال الأمة والأمة في أشد الحاجة  
اليه . وأرى ان اصلاح المالية العثمانية لا يتهيأ لنا الا بعد زمان مديد وذلك  
على يد أهل العلم بالاقتصاد من الاوربيين . هذه النقائص التي استمرت  
طوال الاعوام لا تغالب الا بكد ينفد فيه الصبر وتخل فيه العزائم . ولو  
التفتت الحكومة الزائلة الى حال البلاد وتبينت وجوه الفائدة لوجدت  
منها كنوزاً تغني امم الارض . ولكنها عاشت تجني ولم تغرس ابداً .

## تلخيص الخلاصة

### في تاريخ سيواس

نويت ان أتجاوز الكلام في هذا الباب الى غيره وأشرت الى ذلك في احدى الفصول المتقدمة . ولكنني كرهت ان أخرج من كتابي تاركاً فيه تقصاً لا يعذرني عليه من يقنيه . وها انا اجرب سجيّتي في اجادة ما اعني به . ان لديّ مظانّ جمة ارجع اليها في استقراء الاخبار وبدء تاريخ سيواس لا يختلف عن غيره . ان عليه مسحة من الشك لا يزيلها يقين . واني لأحاول ان اجعل منقولي اقرب الى اليقين منه الى الشك

ان ولاية سيواس جانب من شمالي مملكة ( قبادوكيا Cappadocia او Cappadoce ) اسمها القديم ( قايبره Cabira ) ولعله ( كبيره ) ثم سميت ( سباست Sébaste ) في ايام الرومانيين . ومنه اسمها الحالي سيواس . ذكر ( استرابون ) المؤرخ المولود في مدينة ( آماسيا ) ان سيواس كانت في ايامه عاصمة ( قبادوكيا ) . وروى غيره ان ( مهرداد الثاني Mithridate II ) لما فتح ( قبادوكيا ) انشأ لنفسه قصرًا في سيواس . وزعم بعض الرواة ان ( بمبيوس Trogue Pompée او Trogus Pompeius ) القائد الروماني الشهير لما هزم مهرداد وقضى عليه بالانتحار بدل اسم سيواس . فسمّاها ( ديوسبوليس Diospolis ) ولم اجد ما يؤيد ذلك في كتب الثقافة

ثم تنقلت سيواس في ايدي الفاتحين من الرومانيين واليونانيين

والفرس . تمادى تنقلها على الدول من اوائل العصر الخامس قبل الميلاد الى اوائل العصر العاشر بعد الميلاد . اختارها ( نيرون Néron ) وتملكها ( يوستينيانوس Justinien ) . واستقرت في حكم طائفة من بقايا اليونانيين الى ان ظهر الغازي احمد دانشمند بن علي بن نصر في ايام الخليفة العباسي القائم بامر الله عام ١٠٤١ ميلادي . فاستأذنه في فتح بلاد الروم اي الاناضولي على شريطة أن يحكم هو كل ارض يفتحها . ففتح سيواس واتخذها عاصمة ملكه وأسس فيها الدولة الدانשמندية . وذلك في عام ١٠٤٣ بعد الميلاد

ولم أر في خطط سيواس ما يدل على انها ( سباست ) القديمة عينها ولا اظن ان المدينة الجديدة خُطت مكان القديمة . فليس بها من الاطلال والرسوم ما يخبر عن القدم . واكثر الناس يذهبون الى اب مدينة ( سباست ) كانت على مسيرة ثلاث ساعات من شرقي سيواس على شط نهرها المشهور المسمى ( قيزيل ايرمق ) . وهذا القول يكاد ان يكون صحيحاً

وقد دامت الدولة الدانשמندية عسراً . وملوكها ستة . هذه أسماؤهم :

١ الغازي احمد دانشمند بن علي بن نصر ( فاتح سيواس )

٢ الغازي محمد بن دانشمند

٣ ابوالمظفر نظام الدين بن محمد المعروف بياغي بصان

٤ الغازي جمال الدين بن نظام الدين

٥ ابراهيم بن محمد بن دانشمند

٦ ابو الفداء اسماعيل بن ابراهيم

ولما ولي الملك ابو الفداء اسماعيل اقبل عليه عز الدين قليج ارسلان  
الثاني بن مسعود وهو الخامس من ملوك الدولة السلجوقية الرومية . فغزاه  
واخذ منه سيواس . ويروى انه جعلها عاصمة ملكه

وكان عز الدين قليج ارسلان ولي ابناءه العشر كلاً على بلد . فجعل  
ابنه قطب الدين على سيواس . ثم استقل بالدولة السلجوقية كيخسرو  
وسليمان شاه . وقد رأيت ان اذكر اسماء الملوك السلجوقيين الذين اظلموا  
سيواس بحكمهم . مبتدئاً بخانهم لأنه فاتحها واول من حكمها منهم . وها  
هي اسماءهم مع تواريخ ولاياتهم بالحساب الهجري :

- |             |    |   |
|-------------|----|---|
| ٥٥٨         | ٥  | عز الدين قليج ارسلان الثاني بن مسعود                |
| ٥٧٨         | ٦  | غياث الدين كيخسرو بن عز الدين                       |
| ٥٨٠         | ٧  | ركن الدين سليمان الثاني بن عز الدين                 |
| ٦٠٣         |    | غياث الدين كيخسرو ( ولايته الثانية )                |
| ٦٠٣         | ٨  | عز الدين قليج ارسلان الثالث                         |
| ٦٠٩         | ٩  | عز الدين كي كاوس بن كيخسرو                          |
| ٦١٠         | ١٠ | علاء الدين كي قباد بن كيخسرو                        |
| ٦٣٦         | ١١ | غياث الدين كيخسرو الثاني بن كي قباد                 |
| ٦٤٤         | ١٢ | ركن الدين سليمان شاه بن كيخسرو الثاني               |
| ٦٦٤         | ١٣ | غياث الدين كيخسرو الثالث بن سليمان الثالث           |
| ٢٨٢         | ١٤ | غياث الدين مسعود الثاني بن كي كاوس بن كيخسرو الثاني |
| ٦٩٩ الى ٦٩٧ | ١٥ | علاء الدين كي قباد الثاني بن قرامرز بن كي كاوس      |
- وهذه الدولة السلجوقية هي التي نشرت النسل التركي في ارجاء

الاناضولى. وقد ظلت قائمة في سلطانها موالية للدولة (الايلىخانية). وعاش ملوك السلجوقيين الذين ولوا الحكم من بعد غياث الدين كيخسرو والثاني ينصبون ويعزلون بعهود الملوك الايلىخانيين. حتى اذا ولي الملك علاء الدين كي قباد الثاني بن قرامرز بن كي كاوس. خلع طاعة الايلىخانيين. فاقبل عليه جيش غازان محمود بن ارغون. فهزمه واعتقله في سجنه وكان ذلك آخر العهد بالدولة السلجوقية الرومية. وبقيت آثارها من بعدها تدل على مجد مؤنل وقيام طيبة

ولما احتاز الايلىخانيون سيواس رأى السلطان ابوسعيد وهو آخر ملوكهم ان ينفذ الى سيواس والياً من ارومتهم. فاختر لها الامير الشيخ حسن بن الامير حسين بن آق بوغا بن ايلكان بن جلاير. والشيخ حسن هذا هو ابن اخت ارغون خان. وكان ذلك في عام ٧٣٠. ثم توفي السلطان ابوسعيد ولم يترك عقباً يرث ملكه. وقام امراء المملكة يقتسمونها بينهم. فنهض الامير الشيخ حسن والى سيواس متوجهاً الى العراق واصلاهم حرباً بعد حرب واقام الدولة (الايلىكانية) او (الجلاليرية). وكان استخلف على سيواس حين خرج في غزوته الامير (ارتنا) وهو من امراء الجغتاي. فاجبه الناس واخلصوا له. وكان ذا رأي وسياسة. فضم توقاد وقيصرية واربزنجان وبايبورد الى مملكة جعل سيواس عاصمتها. ثم ولي الحكم بعهده ابنه (محمد ارتنا) ثم تلاه حفيده علاء الدين بن محمد. فدام حكمهم نحو ثلاثة وخمسين عاماً. ولما توفي علاء الدين خطب امه وكانت ايماً رجل من متغلي الطوائف الجنكيزية ومن علماء

التركان اسمه احمد برهان الدين وكان قاضياً على ارزنجان . فبات حاكماً على سيواس وما يليها

ويروى ان قره عثمان وهو احد رؤساء التركان كان نخبياً بمشتى سيواس عام ٧٩٣ . وابي ان يدفع الخراج الذي كان يدفعه من قبل . فسار اليه القاضي برهان الدين في جنوده وأنجلى القتال عن قتل القاضي . وقبره لا يزال على مقربة من شمالي سيواس . وله شرح سماه الترجيح على احد الكتب العربية المسمى التلويح . وفي ابانات ذلك أخذ السلطان (يلديرم بايزيد) العثماني سيواس واصبحت ولاية عثمانية . فجعل ابنه الامير ارطغرل بك والياً عليها وجعل (مصطفى بك مالقوج) محافظاً لها فلما كانت عام ٨٠٣ أقبل تيمورلنك التاتاري في خيله ورجله يطاء العروش ويمبث بالتيجان ويقلب البلاد ويستطير الحصون . فاناخ بكلها على سيواس . وانها لني روق شبابها وروثق جدتها . فصدما صدمة قلعت منها الأبواب ودكت الحصون وكادت ان تميد الرواسي . ولقد احتال في فتح المعقل حيلة لا تخطر على فؤاد بشر . وكانت الجنود التي بها دافعت دفاعاً أذهله . فلما صاروا في يده . قال : ليس من الرأي ان يترك هؤلاء الشجعان . فأمر بهم فضربت أعناقهم . وقد التجأ اليه أكثر من الستة آلاف من الصبيان يستأمنون وعلى جباههم المصاحف . فأمر بهم فداستهم سنابك الخيل وهو ناظر . ثم اتصل به ان بسواس جماعة من الكسالي . فقتلهم عن بكرة أبيهم . وقال ان الكسل مرض لا تؤمن عدواه . وينبغي ان تطهر الارض ممن ضني به . وحين فرغ من قتل الناس وثلج بدمائهم صدره صرخ بجنده ان يوسعوا المدينة تخريباً . فما

رحل عنها الأ وهي اطلال وأهلها ارمام

ثم طار هذا الخبر الى السلطان يلدirim بايزيد وعلم ان ابنه الامير ارطغرل بك قتل في تلك الوقعة . فسار بجيشه يريد تيمور . وانه لفي سفره وقد خرج وحده ذات يوم يتردد بالنسيم . اذا راعي غم ينفخ قصبة له . فهاجت لوعته وأن فؤاده والتفت الى الراعي فقال : ( أعد ايها الراعي أعد . أشكلت ابناً مثل طغرل . أم انه ذلك ركن مثل سيواس ) . وحين التقى يلدirim بايزيد بتيمور . وغلبت كثرة التاتار على شجاعة العثمانيين . وقع السلطان العثماني اسيراً وفني جنوده قتلاً

ثم امتلك انقاض سيواس احد امراء الاكراد واسمه مزيد بك . وكان السلطان محمد خان چلبى فتح توقاد . فسير بايزيد باشا على مزيد بك فخاربه واتى السلطان به اسيراً . ولقد أعجب السلطان بشجاعته وعقله . فعفا عنه وجعله والياً على سيواس على شريطة ان يعمرها ويستعيد روتقها . فتجددت المدينة في عثمانيتها . ودامت كذلك الى يومنا هذا

لقد حزن القلم وتجددت الشجون . فارجو القارىء ان يقيلني من الاستمرار . تلك خطوب لا اقدر ان اتولى وصفها الا مستعراً

اسماء الولاية والمتصرفين الذين ولوا سيواس

منذ عام ١١٩٨ بعد الهجرة

اسماء	تاريخ الولاية	مدة الولاية
	يوم شهر عام	يوم شهر سنة
الوزير سيد محمد باشا	٦ م ١١٩٨	١١ ٥
الوزير سليمان باشا	١١ ج ١١٩٩	٢٢ ٦ ١
الوزير عبدالله باشا	١١ م ١٢٠٠	١٠ ١٠

مدة الولاية			تاريخ الولاية		اسماء
يوم	شهر	سنة	عام	شهر	يوم
١	٢٢		١٢٠٠	ذا	١١
					الوزير عبدي باشا
٣	٢		١٢٠١	م	٢٣
					الوزير محمود باشا
٤	٧		١٢٠١	را	١٥
					الوزير مقداد باشا
١	٧	٢٤	١٢٠٥	ذا	١٢
					الوزير حسن باشا
٤	١	١٤	١٢٠٧	ش	١٩
					الوزير السيد عثمان باشا
١	٧	١٧	١٢١١	ل	١٧
					الداماد السلطاني الوزير السيد احمد باشا
١	٨	١٢	١٢١٣	جا	٢٢
					الوزير رجب باشا
٢	٢٧		١٢١٥	ص	٥
					الداماد السلطاني علاء الدين باشا ابن السيد احمد باشا
٢	٧	١١	١٢١٥	را	٣
					الوزير كوسه مصطفى باشا
٩	١٧		١٢١٧	ل	١٥
					علاء الدين باشا (الولاية الثانية)
٤	٢١		١٢١٨	ش	٣
					الوزير ابو المراق الحاج محمد باشا
١	١	١١	١٢١٨	ذ	٢٥
					الوزير يوسف باشا
٧	١١	١٢	١٢٢٠	ص	٣
					الوزير محمد جلال الدين باشا
٢	١	٥	١٢٢٨	م	١٥
					بابا ابراهيم باشا
١	٧	١٤	١٢٣١	ص	٢١
					محمد غالب باشا (صدر اعظم سابقاً)
١	٧	١٤	١٢٣٢	ن	١٢
					علي باشا الجرخه جي
١	٦	١٣	١٢٣٣	ل	١٧
					الوزير لطف الله باشا
١١	١		١٢٣٥	جا	١
					الحاج محمد بهرام باشا
١	٧	١٧	١٢٣٦	ر	١١
					الوزير الحاج سليمان باشا
٧	٣		١٢٣٧	م	٢٩
					الوزير حسن باشا
١	١٠	٧	١٢٣٧	ذا	٣
					الوزير اسماعيل حقي باشا
٤	٥	٢	١٢٤٢	ل	١٢
					الوزير كوسه محمد باشا
٩	٢٦		١٢٤٤	ر	١٥
					اسماعيل باشا (الولاية الثانية)
١٨			١٢٤٥	م	١٢
					الوزير عثمان باشا
١	٥		١٢٤٥	ص	٦
					الوزير الحاج حسن باشا

مدة الولاية			تاريخ الولاية		اسماء
يوم	شهر	سنة	شهر	عام	
٣	١	١٢٤٨	ر	١٤	سعيد ابراهيم اغا احد بوابى المابين وكان عين محصلا
	٩	٢٣	ر	١٤	الوزير عثمان باشا (الولاية الثانية)
	٨	٥	م	٨	سعيد ابراهيم اغا محصلا (التولية الثانية)
	٢	١١	ن	١٤	رشيد محمد باشا (صدر اعظم سابقاً)
٢	٢	١٧	ش	١٥	الوزير حافظ باشا
١	٧	٢٧	ذا	٣	الوزير اسعد محمد باشا
	١٠		ب	١	{ الفريرق محمد حمدي باشا الميرميران سعيد ابراهيم باشا السيواسى (التولية الثانية)
	٨		ل	١	الوزير عشقر باشا
	١٠		جا	١	الميرميران محمد باشا
	٨		ر	١٠	الوزير محمد شريف باشا
	٨	٢٦	ذ	١٠	الميرميران محمد منيب باشا
	١٠		جا	١	الميرميران محمد باشا
	٨		ر	١٠	الوزير محمد شريف باشا
	٨	٢٦	ذ	١٠	الميرميران محمد منيب باشا
	٣	٢٨	ن	٧	الوزير محمد اسعد باشا (التولية الثانية) الوزير عزت باشا
١	٨		م	٢	الوزير عشقر باشا (التولية الثانية)
١	١	١٤	ن	٣	الميرميران عباس باشا
١	٨	١١	ل	١٨	الميرميران محمد منيب باشا (التولية الثانية)
٣	٤	٢٧	ر	١	الوزير محمد حمدي باشا
	١١	١٨	ذا	١٨	الوزير اسماعيل باشا
١	٨	٢١	ذا	١٧	الوزير فيض الله باشا
٣	٤	١٠	ش	٨	الوزير محمد باشا

مدة الولاية		تاريخ التولية		اسماء	
يوم	شهر	عام	يوم	شهر	
٥		١٢٧٢	١٩	ذ	الوزير محمد خير الدين باشا
١	١١	١٢٧٨	٢٤	جا	الميرميران الحاج احمد باشا
١	٢	١٢٧٨	٩	جا	الميرميران الحاج محمد زكي باشا
١	٦	١٢٧٩	٧	ل	الوزير محمد رشيد باشا
١	٤	١٢٨١	٥	ر	الميرميران احمد باشا
١	٤	١٢٨٢	٤	ن	الوزير على رضا باشا
٤	٩	١٢٨٣	١	م	الوزير الحاج احمد عزت باشا
	٦	١٢٨٨	٣	ن	الوزير محمد حالت باشا
	٢	١٢٨٩	٣	را	المشير احمد اسعد باشا
	٨	١٢٨٩	٣	جا	الوزير محمد خورشيد باشا
	١١	١٢٩٠	٢٥	ص	الوزير محمد تقى الدين باشا
٣	١٩	١٢٩١	٦	ص	الوزير الحاج احمد عزت باشا (التولية الثانية)
١	٦	١٢٩٥	٦	را	الوزير مصطفى ثريا باشا
	٦	١٢٩٦	٩	ن	عابدين باشا (من رجال روم اليلى بكر بكي)
١	١٠	١٢٩٧		را	حتى باشا ابن اسماعيل باشا من رجال رتبة روم اليلى بايهسى
٣	٧	١٢٩٧	١	ر	الوزير خليل رفعت باشا
	٩	١٣٠٢	١	م	الوزير عابدين باشا (التولية الثانية)
١	١٠	١٣٠٣	٣	ش	الوزير سري باشا
١		١٣٠٥	٣٠	ب	الوزير سروري باشا
٣	١٠	١٣٠٦	١٢	ش	الوزير محمد ممدوح باشا
٣	٥	١٣١٠	١	ج	الوزير خليل باشا
٤	١١	١٣١٤	٢٧	ل	الوزير الحاج حسن حلمى باشا
		١٣١٩	٢٤	ذي	الوزير رشيد عاكف باشا ابن عاكف باشا الشهر

الى ان اعلن  
الدستور العثمانى فعين بعد ذلك ناظراً  
لداخلية وهو اليوم عضو بمجلس الاعيان

لقد استعنت في هذا التلخيص بمطالعة جمة أهمها ( قاموس الاعلام )  
الذي وضعه المرحوم العلامة شمس الدين بك سامي وتقويم ولاية سيواس  
الرسمي الذي رتبته الفاضل الجليل رشيد عاكف باشا وقام بتحرير القسم  
التاريخي فيه صديقي الشاعر التركي المجيد ساح بك فتحي . وهو من  
احفاد علاء الدين باشا الداماد الذي تقدم ذكره في أسماء الولاية . وقد  
اعتمد ساح بك في أكثر رواياته التاريخية على ( تقويم مسكوكات ) وهو  
من الكتب التركية المعتبرة . وكنت أود ان أزيد هذا الفصل اسهاباً .  
ولكن خفت الخروج عن موضوع الكتاب  
ومما أسفت له اني لم أجد كتاباً أعتمده لأنقل عنه شيئاً من تاريخ  
سيواس قبل الدولة الدانشمندية . فان الكتب الافرنجية لا تشفي غليل  
الباحث . وكل كلام تضمنته في سيواس موجز أشد الايجاز . والكتب  
العثمانية أكثر منها ايجازاً . فكان محصول الاستقصاء على قدر المستطاع  
لا على قدر الواجب

## رجال الدين في سيواس

رجال الدين في كل أقطار الأرض حرب على الناس . فهم يدون غير ما يخفون ويأمرون بما لا يعملون . ومنهم من صدق إيمانه وكانت سريره كعلائته وهم أقل من القليل . والذين اريد ذكرهم او الاشارة اليهم في هذا الفصل قوم فيهم فضل ومعرفة واوتوا فطنة ودهاء . ولكن حظهم مما اوتوه أقل مما تعرضوا له من تهذيب الناس وتعليمهم . ثم غلب عليهم النفاق فأخذوا ايمانهم ذريعة الى المال ورضاء للسلطان . والا فليست التقوى سبيلاً الى شقاوة المرء وجميل الظن بالخالق سبحانه وتعالى وعبادته لا يحملان على ايداء خلقه . والبررة كالفجرة . لهم أنفس تشتهي وأفئدة تطرب وأهواء تستأثر . وحسب التقي ان يكون تقياً وان يدعو الناس بلسانه الى انتهاج نهجه . لا مورطاً ولا ظالماً . والمتجاوزون حدود النصيح مزاحمون للانبياء والمغالون في النسك مشاركون للمنافقين . والدين لا ينصر بالشطط ولا يخذل بالتهاون

عرفت من علماء سيواس رجلاً اسمه امين افندي . هو عضو بمحكمة الجزاء الابتدائية . وكنت أغشى منزله مع صديقي وخالي امير باشا احد امراء الجراسكة بسيواس . فنأخذ في حديث الصوفية ويستمر بيننا الجدل . فكنت أجده رحب الصدر في مناظرته . صبوراً على شدائد البراهين . اذا انتهى به الجدل الى العمي امسك عن الاستمرار واستطرد الى ذكر ملح ونوادير يستطيهها السامعون . وكان يقول لي : ان ما بيني وبينك لمتلف جداً . أنا احاول ان أقرك على التعريف وانت تحتال في

اخراجي الى التفرنج . وليس أحدنا بالغاً أربيه . وكنا في بعض زيارتنا له نستصحب علي افندي . وهو من علماء قونية . يأتي كل سنة مرة فينزل بدار امير باشا اياماً ثم يرجع الى بلده . وكان علي افندي وعظ الناس في الجامع . فتهام عن اتخاذ التماثيل والصور . وجعل يقول : ان الملائكة لا تدخل داراً فيه صور . فلما حضر بعض مجالسنا عند امين افندي أصنى الى كلامي اصفا المتأمل . فكان كلما انكر شيئاً سأني عليه برهاناً . حتى اذا فرغنا وخرجنا نطلب منازلنا قال لي : لا عيب فيك سوى انك شديد الانحراف عن السلف الصالح . فأقول اما السلف فنعم واما الصالح فلا وقد زارني امين افندي ومعه علي افندي . فرأيتني آخذاً آلة التصوير اصورها امير باشا . فقال لي : أهذا دأبك الدهر . قلت : لا ولكني أتلهي بذلك حين لا أجد لهواً غيره . وسألتهما ان يجلسا معاً لأصورهما . فأحجما ثم انصاعا وصورتهما . ولا تزال صورتها عندي . ولما قال امير باشا لعلي افندي أتدعه يصورك وانت تنهي عن اتخاذ الصور في البيوت ؟ قال : دعني . رأيت هذا الرجل أعرف مني بالحق . فلا يقولنّ مذ اليوم شيئاً واخالفه فيه

ولأهل سيواس في امين افندي أقاويل يكذبونها . غيظة منه وبغضاً له . وقد زعموا انه قال ان الله تنكر ذات ليلة . فدخل احدي الكنائس . وأراد جبريل ان يدخل عليه في أمر عرض . فلما لم يجده على عرشه اكبر ذلك وانطلق يفتش عليه . فرأى الله مختبئاً وراء صنم من اصنام الكنيسة . وهذا قول لا يقوله أجهل الناس فكيف يقوله امين افندي وقد حضرت مفتي سيواس يوماً في غرفة ارستيدي باشا معاون

الوالي . وكان ذلك في رمضان . فاخذ المفتي يقص علينا اخبار من تقدم من الصحابة والتابعين والائمة والصالحين . ومعاون الوالي في شغل بما بين يديه من اوراق الحكومة والمفتي يريد اليه ان يدع الاوراق ويستمع اخباره . فقال ارستيدي باشا مازحاً : أتريد ان تضطرنني الى الدخول في الاسلام اضطراراً . فقال المفتي : كلا وانما أحب ان تسمع هذه الملح . عسى ان تشرح صدرك للاسلام . قال ارستيدي باشا . لقد كان الاسلام والمسلمون بخير اما اليوم فالاسلام وحده بخير . فضحك المفتي وقال صدقت . صدقت .

ومن علماء سيواس واصحاب الغلو من متعصبينها ضياء الدين افندي . ذاك الذي كان ينهي الناس أن يزاوروني . زعماً منه ان دخول بيت فيه تصاوير حرام . وله كتاب وضعه في تحريم الصور وتحريم اتخاذها . وعدني اخوه ان يظمني عليه ولم يف بوعده .

ورأيت من علمائهم رجلاً اسمه راسخ افندي . هو احد معلمي مدارسهم . وكان ذلك يوم تلي فرمان الوزارة التي قلدها رشيد باشا والي سيواس . فوقف راسخ افندي بين الجموع في بهرة الحلقة التي تلي فيها فرمان وخطب الناس . وما زين له شيطانه الا ان يخطب بكلام العرب . فما افتتح فاه بالبسملة الارفعت الايدي وانطلقت الافواه صارخة : آمين . آمين . فكان المشهد هكذا :

راسخ افندي — بسم الله الرحمن الرحيم

الجمع — آمين . آمين . آمين

راسخ افندي — الحمد لله

الجمع - آمين . آمين . آمين

راسخ افندي - الذي

الجمع - آمين . آمين . آمين

راسخ افندي - رفع

الجمع - آمين . آمين . آمين

راسخ افندي - السماء على

الجمع - آمين . آمين . آمين

راسخ افندي - أرضنا وأرضكم

الجمع - آمين . آمين . آمين

وكان في المستمعين رجل قريباً من موضعي . استغرقتة تأملاته  
وتعاليه اعجاب حتى سال لعابه على لحيته . فجعل يهز عنقه هزاً عنيفاً حتى  
خشيت أن يقصفه . فقد كان عنقه ربيعاً جداً . واستمر الخطيب في  
خطبته فاحش اللحن قبيح اللفظ سمج التأليف مشوش الافادة اذا  
أوماً خلته يتوعد واذا أشار خلته يخطف . فلما انتهى قلت : الحمد لله  
وعلماء سيواس أهل دعوى ولجاج . رأيت منهم رجالاً يزعمون انهم  
قرأوا (السعد) مكرراً وهم لا يعرفون من موضوعه شيئاً . وذهب رجل  
منهم الى انه يحرم على المسلم ان يدعو غير المسلم اخاه واحتج بآية  
(انما المؤمنون اخوة) . فقلت له أنا لا أجادل بالقرآن ولكنني اخالف  
الساعة عادتي وأثبت لك فساد دعواك وخطأك في تأويلك . قال

- هات ما عندك

قلت - ان في علم المعاني باباً اسمه باب القصر

- اعرفه

- وفي الآية قصر موصوف على صفته . فهذا لا ينفي الاخاء من غير المسلمين . ولو كان فيها قصر صفة على موصوف كأن تكون انما الاخوة المؤمنون لنفي من غيرهم الاخاء

فغضب الرجل من كلامي وقال : أعوذ بالله ان يكون في علم المعاني شيء مثل هذا الكفر . وما هو الا اختلاق منك . وهب جدلاً ان دعواك صحيحة . أيحتملي ذلك على ان اصدق علم المعاني واكذب القرآن . فأيقنت يومئذ ان الرجل ممن أفرغ في رأسه عشرون قنطاراً قطراً . وآثرت اهماله وأنشدت قول أبي الطيب :

ومن البلية نصح من لا يعوي عن جهله وخطاب من لا يفهم هؤلاء الرجال يحللون من الأمور ما يوافق اهواءهم ويحرمون منها ما يخالف اهواءهم . يسطون على الناس بسيوف من الايمان الكاذب . فلا يثبت على لقائهم الا من

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانباً فما تحكم عبد الحميد في الأمة الا بنصر هؤلاء . أما جنوده فاولئك منخدعون . ولقد فطنوا لذلك . فجعلوا صلواتهم وابتهالاتهم كلها وقفاً لظالم الأمة . استجلبوا له القلوب الخالية والنفوس الطامعة فوقفوا كلهم لقاء الأحرار . يكيدون لهم كيداً . وكانوا يدعون المنفيين في بلادهم اعداء الدين والدولة . وكانوا يذمون الشورى ويذمون من يدعو اليها . ولو امكنتهم غرة من الاحرار لاجتثوا اصولهم وأبادوا أعقابهم . فاذا ظهرت البلاد من شر هذه الفئة راجعها السعادة

## أقيال سيواس وسرّاتها

إذا جلس المرء على ممر الناس وأخذ يتصفح الوجوه ويثبت الاشباه وينفيها . تهادت أمامه مواكب الاشباح . هنالك الصور المتحركة تبدو وتستسر . تكاد النظرات تنبؤ عنها . فاذا وقف القعود على جانبي الممر ورفعت الايدي الى الصدور والرؤوس . فثم سريّ يمر . وكل هذا التكلف اجلاً لآله . والسري رجل مثلم . وقد يكونون أجمل منه لباساً وأحسن تقويماً . يلج الجمع فيوسعون له مكان السيد . وفي خطواته ثقائل ولقده تأود وكتفاه يقلعهما كأنه يحمل بينهما كرة الارض . من سيدنا؟ هو احد اعضاء مجلس الولاية . حضر الجلسة وخرج منها غير مشير برأي ولا ناطق بكلمة وهو مع ذلك يمر بالسوق ليتخير لنفسه ما اشتهت من اكل وفاكهة . فما يبلغ منزله الا ويتبادر اليه الخدم يكرمون وفادته . وعلى الدواوين المرصوفة في داره أناس يشتاقونه ويمدون الساعات انتظاراً له . وبعد فتسليمة فاستراحة فطعام فكلام فتوديع فنوم . هذا احلى من قول شوقي بك :

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

إذا عرف القاريء هذا السري فقد عرف كل السراة . وإنما أستثني منهم آحاداً لو عاشوا في بلد غير سيواس لكانوا من الظرف والفضل بالمكان الأرفع . وهم مع ذلك لا يميل قريهم ولا يسأم حديثهم . منهم امير باشا . وقد تقدم ذكره في فصل سبق . هذا رجل داره محط رحال الكرام . سليل بيت له في المجد سابقات . وهو چركسي . ابوه المرحوم

ماهر بك . كان من امراء الاباضيين . لحق به ضيم من الحكومة فنخرج  
عليها في جماعة من فرسانه . وقد سيرت الدولة عليه الجنود فهزمتها وأعجزها  
طلبه وأخذ عليها الدروب والمسالك . فاذا لاح له البريد أقبل عليه في  
أعوانه فاستاقه وفرق ما غنمه على أهل القرى وعلى رجاله ولم يبق لنفسه  
منه شيئاً . فلما عم اذاه واشتدت على الناس وطأته أرسلت عليه الدولة  
عددًا كبيراً من المقاتلة . فما زالوا يطاردونه الى ان دخل في ولاية قسطنطيني  
واختفى هنالك ولم يعلم من خبره شيء الى يومنا هذا . غير ان كثيراً من  
أشياخ الجركس يزعمون ان الجنود ظفروا به في بعض المواضع فقاتلهم  
حتى قتل وقتل معه اكثر رجاله وانهمز الباقون

ولامير باشا أشياخ وأنصار جلم من الجركس يفضون اليه بمحاجاتهم  
ويتقاضون الى حكمه في خصوماتهم . وله أعداء من قومه ومن غيرهم  
يتربصون الفرص لا تلاف نفسه وينصبون له حبالل المكاييد . فحياته حياة  
حذر . اذا غفل عنهم طرفة حين حل به كيدهم

وكانت بين امير باشا وبينني مودة مؤكدة . ثم هو من أقارب  
والدتي وكنت اناديه ياخال فرأيت من اخلاصه ونصحه ما لا أنساه  
مدى الدهر . أقمنا على ذلك سبعة أعوام لا نختلف في شيء . سوى انه  
كان يزعم انه اسد مني رماية وكنت أزعم ضد ذلك . فنخرج الى حديقة له  
لا تبعد كثيراً عن البلد . فينصب لنا رجاله هدفاً على قمة تل هنالك .  
فتارة أنا اكثر اصابة وتارة هو اكثر اصابة . هذا اذا كانت الرماية بالبندقية  
واذا هي كانت بالمسدس . فالفوز حليفي لا محالة . وقد عاهدني ان يهنيء  
لي أسباب الفرار من سيواس كما أبنته في غير هذا الموضع . ولولا ان

تداركنا الله باعلان الدستور في البلاد العثمانية لنجوت من سيواس على يده  
ومن سرة سيواس رجل اسمه عبد الله بك . وهو ابن اغا قانغال .  
ما شئت من مال ومن نسب . مات رحمه الله في شبابه بمرض السل بعد ان  
قاسى منه ما لا يصبر عليه غيره . وكان على جانب من صغر الرأي . فصد  
عن نصيح الاطباء الى ان أحس بدنو أجله . فهم بالسفر الى الآستانة  
ليتداوى عند كبار أطبائها ولكن أدركته المنية حين لم تبق فائدة للعلاج  
ومنهم نوري بك بن الحاج علي بك . وهذا الرجل أشبه الناس  
بعبد الحميد . ومن مزاياه التي أمن فيها النظر انه ما لبس ثوباً نظيفاً ولا  
حمل صدره قيصاً افرنكياً . وهو من أعضاء لجنة المهاجرين وقد ترقى في  
مدارج العلى حتى بلغ التمايز . ثم وقف به جده لا يتقدم قيد اصبع . ولا  
أعلم من حال الرجل ما يسوء ذكره . غير انه كان كثير النفاق  
ومنهم خالد بك مدير الاوراق . رجل حسن الطلعة . كريم الطباع .  
طيب المجلس . ولكنني شممت من خلأثقه رائحة الختل . فاتقيته  
ومنهم الحاج نوري افندي . مميز قلم المحاسبة . لوددت ان اروع  
بلقاء الذئب أعزل علي ان لا أراه . اني لأربأ بهذا القلم ان يسفل حتى  
يلتقط معايبه . ولولا لاجة سبقت في ذكر هؤلاء القوم لأمسكت القلم  
عن ان يخط اسمه . وها أنا فاعل  
ومنهم ابراهيم بك . ناظر النفوس . هو من مهاجري ولاية الطونة .  
أتى سيواس مع المرحوم خليل رفعت باشا أحد الصدور العظام . حين  
وجه والياً عليها . فلما فارقها الباشا بقي ابراهيم في سيواس ورضيها  
لنفسه وطناً

ومنهم توفيق افندي باشكاتب مجلس الادارة وضياء الدين افندي  
ميمز المكتوبجي . وكانا في التجسس والوشاية فرمي رهان . ولا أدري  
ايهما اشد تعصباً من صاحبه . وضياء الدين افندي زارني مرة في العيد .  
فأبصر بين الصور المعلقة على جدار الغرفة صورة شاب من فضلاء اخواننا  
الأرمن وهو المسيو باليوزيان . فاشتمأز وبدا الغيظ على عينيه . ثم التفت  
اليّ وهو يقول : انزع هذه الصورة . لا ترفع صور الكافرين على جدار  
بيتك . ألا تعلم ان هذا الرجل هو أحد اعضاء الجمعية الارمنية السرية .  
فقلت : ليس ذا من شأنك . فخرج من عندي وهو يكاد يستعر غيظاً .  
اما توفيق افندي فلم يسلم عليّ ولا سلمت عليه وأبغضني الرجل وأبغضته  
من أول يوم اختلفت فيه بيننا النظرات

ومنهم حسين افندي . سر قوميسر الولاية واليوم بدل هذا الاسم  
الى مدير البوليس . رجل لا أعرف له سيئة . ولقد حمدت سيرته وكنت  
ازوره مستطياً زيارته . والمنفيون كلهم يحبونه ولا يذكرونه الا بالخير

## اخواني في النفي

كان عبد الحميد يتخذ من بعض الولايات ديارات للنفي . فما غضب على حر ولا غضب على غير حر الا شخصه الى واحدة منها . وانما اختلفت عنده مراتب النفي باختلاف الاجرام واختلاف الاماكن . فمن نفاه من خاصته امتحاناً او عتياً اختار له الثغور او البلاد القريبة من العمران . ومن نفاه قالياً ناقماً رمى به في ابعد المرامي . وراء الجبال . حيث البداوة والمصيبة والموت الاحمر والبلاء الاسود . وسيواس هي احدى مواطن النعمة الحميدية

ألفيت بها اناساً سبقوني اليها . اولئك اخواني من احرار العثمانيين . طائفة منهم كانت آوت الى مصر في ايام كرومر الجليل وحامي الاحرار . وطائفة كانت هاجرت الى اوروبا او كادت تهاجر . ما زالت الاقدار تسيرهم وتطوفهم في الآفاق حتى رجعوا كلهم الى العش الذي استطيروا منه . فغلوب على أمره بالحاجة ومنخدع بوعد ومستخف له الشوق . وكان حوادث الصروف كانت مسخرة للرجل الظالم . تحارب من يحاربهم . فما استقرت على ارض سيواس قدمائي الأ ولحق بي آخرون . فكنت انا صاحب الفترة بين البريدين

فتجدد جلدي وثبتت نفسي . وقلت المواطن اوطان اذا تجاوزت فيها الاحبة . وأمت اياماً اترقب زيارتهم لي . فلم يطل ترقيي . فكانوا يتوافدون عليّ فرادى ثم مثنى . ولما اطمانت قلوبهم عليّ وعرفوا اني غير محبوب عن الناس اكثروا التردد في ود وصفاء لا انساها ابداً .

وها أنا ذا أذكر أسماءهم على ما علق في ذهني  
الخوجه شكري . ( هو الآن مبعوث سيواس )

الدكتور فائق

توفيق افندي

خالد افندي

صلاح الدين افندي

رضا بك

شوقي افندي

رجب افندي الالباني

فائق افندي

وهذه أسماء من تفوا الى سيواس على أثري

البكباشي المرحوم جميل بك

الملازم احمد بك

المرحوم حسن بك ويريون الالباني

نجله نزهت بك ويريون

المسيو لامبروس نيقولايدس

حكمت بك

وكان بسيواس متفيان . احدهما علي غالب بك . هو مدير الاوراق  
بنظارة المعارف . وثانيهما عادل بك وهو احد خزنة الكتب في مكتبة  
عبد الحميد التي بقصره . لقد صدودنا عن هذين الرجلين لأن المتقدم  
الذكر منهما احد الجواسيس الذين فتكوا بالارواح فتك الذئاب حتى

ضرب بالسيف الذي ضرب به المظلومين . والثاني رجل مذموم الاخلاق  
مملول الود لا يدانيه احد من الناس . وقدم سيواس بعد ذلك منفيان  
احدهما البوز بك هو عبد الحميد وثانيهما توفيق بك متولي زاده احد  
اشراف ازمير . وكان البوز بك يقبض كل شهر راتباً قدره ١٥٠ جنية .  
وكان يسيواس منفيون غير الذين ذكرت اسماءهم وعددهم اكثر من الحسين  
والمائة . غير انهم فرقوا في انحاء الولاية . فاسكن فريق منهم توقاد واسكن  
فريق آماسيا واسكن الباقون بلاداً اخرى داخله في الولاية  
وقد عن لي في بعض ايامي رأي . فدعوت بمن تقدم ذكرهم من  
الاخوان . وقلت لهم ( هذه حياة لا لذة فيها . نضل في سيواس حتى  
تفنينا الايام ونرى الى وطننا وقد اشفى على الهلاك . كل يوم يموت منه  
عضو . والظالم الجبار سالمته الايام . فما اظنه يموت وفي الوطن حياة ترجى )  
فقال قائلم : وما رأيت لنا في الأمر . قلت : ما عندي رأي مختمر . وانما  
دعوتكم لنتشاور في الأمر جميعاً . ولكن ينبغي ان نعلم ان سبيل العمل  
فيما نتحدث فيه محفوفة بالمكاره . فمن أحس في نفسه ضعفاً فليتنكبها . انا  
نريد انصاراً ذوي عزم . لو ان في قلبي اقل الريب في صدق احدكم ما  
خاطبتكم في مثل هذا الأمر . اطلبوا التدبر والتأمل . ثم انظروا ما ينبغي  
ان نبداً فيه . اني اظن ان الرأي في تأليف جمعية سرية تكون على الطريقة  
الماسونية او تقرب منها . على ان لا تكون ثم رئاسة تستهوي القلوب  
ويتخاصم عليها الاخوان . انا قليلون والثبات يكثرتنا عدداً . ولنتخير من  
اشراف سيواس من نأمن غدره ونثق بمرؤته ومن هو جدير بنصرتنا او  
مشاركتنا في بلوانا اذا حم القضاء . هذا أمر لا يستطيع الفراغ منه في

مجلس واحد . والايام بيننا . وسنزداد في كل السام نلتئمهُ رأياً جديداً

قالوا - من لنا بالسلاح والعدة ؟

قلت - السلاح والعدة لهما رجال غيرنا . وانما علينا أن نحكم تديرنا  
ونتولى استكمال جمعيتنا . فاذا اتت نوبة السلاح والعدة نظرنا في ذلك .  
وان تأتي تلك النوبة الأ و حولنا رجال اولو بأس ونجدة

فرضي الاخوان رأبي و وعدوني بالنظر فيه . ثم توات اجتماعاتنا .

فكنا نتفق على اشياء ونختلف على اشياء حتى انفقنا على ان لا نتفق .

وسلك كل بعد ذلك طريقاً وانقسمنا جماعات وكلنا أقل من ان نكون

جماعة واحدة . غير اني لم اعلم على احد من الاخوان ما يزري بحريته

ولا ما يستحدث ريباً في نجده . وقد فرّق الدهر بيني وبينهم بعد

اعلان الدستور ونحن متوادون . لم يبدل احدنا بسياسته سياسة . ضبرنا

على مفضض الايام ووقفنا في وجه الحكومة البائدة غير صاغرين . ولو

كان والي سيواس غير رشيد باشا عاكف لقضينا الايام في ظلمات

السجون . ولكن الوالي كان حراً شهماً وكان منفيّاً مثلنا . فهذا خفف

ويلاتنا وجعلنا في مأمن من كيد الخائن . ولقد ذاق مرّ العذاب اخواننا

الذين نفوا الى خربوط وقسطموني وغيرهما . وابتلوا بولاية لوسأهم عبد الحميد

ان يقتلوا الأجنة في البطون لأطاعوا

## كيف مرت أيامي بسيواس

العامّة تقول : ( الغريب أعمى ولو كان بصيراً ) . هذا مثل يصدق فيّ . ان سيواس أرض عثمانية وأنا رجل عثماني . فهي اذن بلدي وأنا ابنها . غير ان الغربية غربة الدار واحدة . كل أرض لم يسبق للمرء علم بها هي دار اغتراب له . وقد كانت اوائل ايامي في سيواس ايام شدائد . ضقت ذرعاً حتى لا أدري اية اذهب والى من التجئ . ولولا اخواني الاحرار الذين تقدم ذكرهم لبلغ بي الحرج أقصى حدوده . وما لبثت ان استأنست بالدار وأهلها واتخذت لي رفقةً صالحه من نازليها ومن أشرفها . ثم أخذت أجوب مسارحها وألم بساحاتها . فصرت بعد ذلك كأني بعض أهلها

ولقد علمت ان الحكومة في غنية عن خدمتي وان المراد من وظيفتي اسمها دون حقيقتها ورأيت الموظفين يخفون عني أوراق الحكومة التي تتضمن شيئاً من أسرارها . فاخترت ملازمة الدار . والتي في روعي ان قراءة الكتب قد تستحدث نسياناً لمصائبي وتفيدني ما لا أعلم . فجعلت أتجري أسفاراً أقتطف فوائدها وأقتبس من معارفها . فاذا حظ البلدة منها قليل . فاشترت من القصص الفرنسية ما ادخلت في غفوة من أعين الرقباء . فجعلت أقرأوها وأستعين بها على مغالبة البطالة . وأغارني اخواني الاحرار مما عندهم من الكتب . فشفت داء صدري وطابت بها أوقاتي . وأحيت ان اقضي بعض ساعاتي في التأليف . ولكن خوفني الاصدقاء من شرّ ذلك . قالوا قد يتصل بالحكومة أمرك فتدخل الشرطة دارك وتروع أهلك وحسبهم ما لقوه بالاستتانه . واذا ظهر شيء تكون

كاتبته حرفوه وزادوا على ما فيه ورموا بك رمية لا نجا لك بعدها .  
فأقت بسواس ما أقت لم أولف رسالة ولا كتبت فصلاً من رسالة  
سوى كتابين

وكان يجيش في صدري الشعر فأقول الأيات او القصيدة الطويلة  
واقيدها في كتاب لا اطلع عليه أحداً . وقد ضاعت اكثر تلك القصائد  
اذ تساقطت اوراقها كما ضاعت عدة من غرر قصائدي بين اوراقى التي  
أخذها الجواسيس بالآستانة . فلك السوانح أتلف عليها وابكها ما  
دمت حياً

وما مضى على الحول الأولى أصحاب كثيرون من الاجانب .  
اولئك قوم خففت موداتهم لواعجبي . ألفت منهم ودًا لا يشوبه الهوى .  
ما نابتنى نائبة من حدنان الدهر الا تسابقوا الى دارى بوجوه كنت أقرأ  
على صفحاتها سطور الوفاء . فمن هؤلاء الدكتور جويت قنصل الولايات  
المتحدة الاميركية ( هو الآن قنصل الولايات المتحدة في طرابزون ) .  
فقد كان الرجل منى بمنزلة الأخ وكذلك عقيلته وشقيقتها المس باوس .  
ولما مرض اكبر انجالي بالحمى التيفوئيدية جعل الدكتور جويت يعود  
كل يوم مرتين . وقد تولى معالجته مشتركاً مع صديقي الدكتور خسرف  
هكيمان . وكانت المادام جويت تأتينا صباح كل يوم . فتظل في خدمة  
المريض الى الظهر . ثم تذهب لتغدى . ثم تعود فتمكث عندنا الى الليل .  
لم تنقطع يوماً واحداً الى ان شفى الله ذلك الطفل على يدي الطبيبين وعلى  
يدي هذه السيدة الفاضلة

ومنهم الموسيولا پورت قنصل فرانس . شاب لم يبلغ يومئذ الثلاثين من

العمر . كان كذلك مني بمنزلة الأخ . ولقد لمته ذات يوم على كثرة دنوه من سرير ابني في ابان مرضه . فابتسم في وجهي وقال : لا تخف عليّ شيئاً . أبواي لقيار بهما وليس لي زوجة ولا ولد يهمني ما يصيران اليه بعدي . فقلت بل لك اخوان كلهم يفديك بحياته ويستزيد لك الصحة والسلامة

ومنهم المسيو موتي سانتو . ترجمان فنصلية الولايات المتحدة الاميركية ( هو الآن قيس فنصل الولايات المتحدة في طرابزون ) ومنهم المرحوم المسيو اصلان . رئيس حسابات البنك العثماني بسيواس . كان مثلاً في صدق المودة . امتاز بالجرأة واستخفاف المهالك حتى اودى شهيداً في بعض مسيره الى الصيد . ولم يبلغ من العمر اكثر من الثمانية والعشرين عاماً . ومنهم المسيو سالجاني مدير البنك العثماني والمسيود وتوليدو أحد الذين خلفوا المرحوم اصلان . ومنهم المسيو بون هنري فنصل فرانساً بعد المسيو لاپورت وعقياته . فقد قضينا معهما شتاءً كاملاً . في ليالٍ نسينا بها انا وراء جبال الاناضولي وخيل الينا انا مقيمون بباريس . بين محاسنها وبدائعها

اما الموظفون العثمانيون فمنهم صديقي الأوفى ارستيدي باشا معاون الوالي ( هو الآن عضو في مجلس الاعيان ) . وقد تخرّجت عليّ كبرى بناته في اللغة التركية . لن ينسيني كروور الايام ما لقيت من هذا الشهم وآله من جميل الود . فما استحدثت الايام لي معضلة الا كان حلها بيده . وارستيدي باشا رجل من نخبة العثمانيين فضلاً وأدباً . وله في وظيفته آثار تشهد له بما اوتي من الحكمة والرأي

ومنهم اسعد بك رؤوف سكرتير لولاية . (ثم جعل متصرفاً لمرسين)  
واظهر في المذابح الارمنية من الحرية والعدالة ما يتباهى به العثمانيون  
فكنا اذا جاء فصل الصيف . ننصب الخيام خارج البلدة . بالقرب  
من مصنع الدقيق الذي اسسه خليل رفعت باشا . فهناك بارض النبت  
في ألوانه الزاهية وهناك الاشجار المتكاثفة والينابيع المنفجرة والانهار  
الدايقة والجبال الشاهقة والنسائم المعتلة . نقيم تحت تلك الخيام المتجاورة  
شهرًا او اكثر كسكان البادية . تصبحنا الشمس المشرقة ويماسينا البدر  
المتكامل من وراء الأكمة . ونحن نرتع في تلك المحاسن . فأونة نطوف  
متصيدين انواع الطير وتارة نذهب الى منهل عذب نعل صافيه ونصيب  
عنده طعامنا . فلا ينتهي الموسم ونرجع الى البلدة الأمتلئين صحة وشبابًا .  
فنقضي أيامنا بذكر تلك الاوقات ونقيم على التراور والتواد والصيد ونحوه  
طول فصل الشتاء . وهو تسعة اشهر . حتى اذا عاد الصيف عدنا الى ما  
كنا فيه

اني لكثير الحنين الى تلك الايام الطيبة . ولولا ما كدرها من ظلم  
عبد الحميد واستبداده على الأمة لتمتعت عودتها مع اولئك الاصحاب . فذلك  
العيش معلل جانبه . وهناك الدعة والصفو كلاهما . هذه ذكرى طيبة  
اوثرها في كتابي تشریفًا له بذكر اولئك الاخوان . وما في فوآدي  
اجل وأبقى

وقد وجدت لي اعمالاً تعينني على التخلص من شؤم البطالة .  
فتعلمت حفر الخشب وتجويفه واكثرت من التمرن في التصوير الفطوغرافي  
والتصوير باليد . فكنت اذا ضاق صدري اجد منهما مفرجاً للكربة .

كذا مضت عليّ سبعة أعوام في تلك الارض . فلم اعدم من الحكومة البائدة عدواً يكدر صفو الحياة . فقد عشت محروماً من صحف الاخبار الاّ ما كنت اقرأوه عند اخواني الاجانب . وكانت ادارة البريد لا تدفع اليّ الكتب التي يبعث بها شقيقي ومعارفي الاّ بعد ان تقضى ظروفها وتعلم ما فيها . لم يغني لديها نظم ولا استنصاف . وكان مدير البريد والتلغراف من اكبر الجواسيس

## اهل سيواس

تقدمت في فصولي الماضية اشارات الى اهل سيواس . فتلك متفرقات لا طائل تحتها . وهذا الذي اذكره اكثر فائدة وأخص بياناً ان للامصار من بنيتها اعواناً على اتساعها وتماظم شأنها وزيادة رونقها وتوفر ثرائها . وما يصيبها من عناية الحكومات مجلوب برغبة الاهلين وطلبهم . وسيواس كغيرها من سائر المدن العثمانية بقيت على قدمها . وما بقيت عليه في تمام محاسنه بل قامت على انقاض لم تمسها يد مجدد من ابنائها . فهي عنوان فطرتهم ودليل عجزهم وبنو سيواس قوم تعودوا عيشهم فاستطابوه . ولئن قام منهم اناس يشكون حالهم . فتلك شكاية لا استمرار لها . تبسامة من والٍ تنسيها وزجرة من مدير البوليس تذهب بريحتها . وان من آفات الجهل ان يعد المرء شقاوته نعيماً وان لا يصدق ان في الحياة الدنيا عيشاً هو أطيب من عيشه

ما اشتاق أهل سيواس شيئاً مما بأيدي غيرهم ولا تآقت نفوسهم الى احراز مثله . فاذا حدثهم محدثهم بما في مدن الغرب من مظاهر العمران وقص عليهم أخبار الناس ووصف لهم الكهرباء في نورها الوهاج وقوتها التي تستخف الروابي ضحكوا ضحكاً غير المصدق . وظنوا ان الرجل يحدّثهم باشياء لا مكان لها في الوجود . يتساوى في ذلك أشرافهم وسوقتهم . هم يقولون أعلى هذه الأرض بلد هو أعظم من سيواس . ام فيها أقطار أنهارها كأنهارنا ورياضها كرياضنا وخصبها كخصبنا . واذا جارك محدث الى ما تعيب من سيواس . فأنما يصنع ذلك تحبباً اليك . وفؤاده ينكر عليك ما تقول

وما القوم بمحرومين من العقل ولا ذكائهم دون ذكاء الناس . ولكن يغلب على قلوبهم بعدهم عن بلاد الله وحياتهم التي يتقضى أكثرها على شاهقات آسيا الصغرى وجهلهم الذي لا يقف عند حد . فيبقى ذلك العقل غير مستخدم ويظل ذاك الذكاء معطلاً وغير مستثمر . وبذا تنمو النفوس عيش البطالة وتنشأ على العجز والذلة . ولئن كان الطمع مذموماً فان من القناعة لشراً منه . وقد رأيت من فاقة السيواسيين ما لا أقدر ان اصفه ولا ان أقارنه الى غيره . تلك فاقة منسوجة على غير بنوال وأشد ما فيها ان لا رجاء في زوالها . واذا اقتضى الكلام على المتمولين الذين هناك . فقل ان فيهم الموسرين ولكنهم ليس فيهم الاغنياء . ومن كان مجموع ماله الذي جنيه عدداً من كبار اغنيائهم . واكبر غني هناك هو افينيونان وكل ماله لا يتجاوز العشرين ألف جنيه وان من عجائب ما استقراه العقلاء ان اكثر الأمم غلوا في الدين

أكثرها تهاوناً في غيره . وما ذهب بمجد اليونانيين وأخر سبق الرومانيين وأضعف سلطان الاسبانيين لجدير بأن يبلغ بالسيواسيين منتهى الشقوة . وما غلوا هؤلاء القوم في دينهم ظاهراً في نسكهم وعبادتهم بل هو بين في صدمهم عن كل شيء يأتيهم من أوروبا . لقد كنت أخرج الى بعض الخلوات مع رفقة لي . محمواين على الدراجات . فيرجنا الشبان والصغار بالحجارة وكم اضطررنا الى تهديدهم بالمسدسات رداً لأذام فرددناهم وما كدنا . وهم يسمون الدراجة ( شيطان عربي سي ) اي عربة الشيطان . ولما استمر اعتداؤهم وأعتنا الحيل في اكتفاء شرهم عمد كل منا الى دراجته فباعها

وكانت السيدات الاوروبيات اذا خرجن للنزهة يصحبن معهن رجالهن وخدمهن لكي يردوا عنهن الاولاد اذا رموهن بالحجارة . وهذه الجرأة تجدها عند المساميين كما تجدها عند الارمن . وصبيان الارمن اذا رأوا سيدة اوروبية صاحوا بها : يا مادام . جيوبك ملؤها الشياطين . وقد يغتفر المرء امثال ذلك من صبية تقصوا تربية وحرموها علماً . ولكن ما يقول المرء اذ يرى امهاتهم عشيخ محجبات ساحبات فضول ما زهرن . كجماعات الاوز او كأقطاع الغنم . ولقد يبصرن بسيدة اوروبية او سائرة بزي الاوروبيات فيسببنها في وجهها ويضحكن من شكها . هذا جهل لو انقلب علماً لأصبحت غربان سيواس فلاسفة . ذاك والمدارس الاجنبية لا تضيع في سوى التعليم وقتاً من اوقاتها . فما ظنك بها من قبل ان تدخل جنود العلم ارض سيواس ولا يحسبن القارىء اني ارمي بما تقدم من كلامي الى ذم اخلاق

السيواسيين . فذاك بمعزل عن غرضي . بل ان أهل سيواس من أقرب  
العثمانيين الى التقويم والتهديب . وما اظن ان في الولايات العثمانية ولاية  
تفاضل سيواس في دعة أهلها . ومن المستحسن من محاسنهم ان الجنائيات  
بينهم أقل من الأقل . فلقد يمضي الشهر والشهران ولا تقع في مدينة  
سيواس جناية واحدة . ولقد كثرت في خارج المدن وفي بعض قرأها  
سطوات الصعاليك وقطاع الطرق واكثرهم من الجركس . ثم أبادهم  
رشيد باشا عاكف في أيام ولايته فحل الأمن محل الخوف

وإذا نظرنا الى اولئك الأتوام وحالهم حالهم من البؤس والشقاء وبقاء  
اكثر شبانهم بغير شاغل لهم من حرفة يحترفونها او طريق كسب  
يسلكونه وقارنا ذلك الى اعتصامهم بالصبر وغيرتهم على الأخلاق ان  
ينتهي بها الفساد الى ما لا علاج له عرفنا لهم حق الأدب القومي  
وأصنافهم . فان الصناعات التي ذكرتها في فصولي المتقدمة قد انقطع اليها  
ناس عرفوا بها ولم يرسم خطاهم غيرهم . وسائر الشبان يحيون حياة بطالة  
ولهو لا طائل تحتها

## الامة والشورى

من الناس من يذهب الى ان الامة العثمانية كانت تريد الدستور . هذا وهم لا حقيقة له . من اين للامة ان تدرك محاسن الشورى ولا عهد لها به . لقد أقرها عبد الحميد في اوائل ولايته اياماً ليخضع بها خصومه وييث بها لهم حباثل الشر . ثم أخذ يرمي بهم واحداً بعد واحد حتى اباد جمعهم وافنى اكثرهم . ومددً بعد ذلك رواقاً من الظلم احتجب تحتها الراضي والساخط وقضى ان لا يحاسب وان لا يعاتب فاشترى اقلاماً بذهبه وكسر اقلاماً بقوة . وحال بين الرعية وبين الحياة . فمن اين عرفت الشورى وكيف تاقت اليها نفوسها

ما اريد غضاً من جانب الامة ولا تجاهلاً لمناقبها . ولكن هو الحق الذي لا يتغلب عليه اللجاج . وليس في ادعاء غير الواقع نخر تناله الامة . ولا في ابطاله عار يلحق بها

ان الامة اشتدت عليها الاوجاع . فتجلدت وكرمت في تجلدها . وما كان ذلك عجزاً ولا ذلاً بل وفاء واعذاراً . فكان منها من يحمل مصائبها على حكم القدر فيمثل ايماناً وكان منها من يتهم حاشية السلطان باخفاء الامور عنه ومنع شكاوي الرعية ان تصل اليه وكان منهم من يقول ان مهب تلك الفادحات هو الغرب حيث عكف ساسته على الكيد لنا والانتقام لاسلافهم الذين وردت سيوفنا رقابهم وأذل سرانا اعزتهم . ولم يتجاسر أحد من عامة الامة ان يتهم عبد الحميد في نجواه

فاظنك باعلان عصيانه وانكار سيئاته عليه وانما باح يبغيه له

وجاهره بالعدوان قليل ممن تعلموا وعرفوا . فهؤلاء هم اعوان الحرية  
وانصار الشورى

ان العامة تحب الشيء اذا حببها زعماءها وتبغضه اذا بغضه اليها  
زعماءه . وزعماء العامة عندنا رجال الدين وهؤلاء لا يرغبهم في الشورى  
شيء مما هم منقطعون اليه . فهم يحبون ان يظلوا محتكمين على الرقاب وان  
يقفوا عيالاً على الامة وان يلثم الناس ايديهم ويمسوا اكياسهم . ثم ان  
عبد الحميد اتخذ منهم شيعته وذادته . فافترهه في القلوب ولا اتباع  
له المودات الا هذا الرهط . فصح اذن ان الامة لم تكن من العلم  
بالشورى على شيء

على ان فريقاً هو متوسط بين الخاصة والعامة أخذ بيدي ضجرته  
بعد ما طال اخفاؤها . فكان كلما اشتدت وطأة الجواسيس زاد بغضاً  
لرجال الحكومة . ظناً بان اولئك يخدعون السلطان ويخونون عهده  
لأمتهم . وكلما حاول فريق الاحرار حمل هذا الفريق على مواخذة السلطان  
أبوا وقالوا : « حاش لله . هو أعظم من ان يتهم في ذمته . اتم خاطئون .  
الذنب ذنب من حملم الامانة نخانوها »

قلت يوماً لصديقي امير باشا : ألا يقوم رجل من نجباء هذه البلاد .  
فيجمع بعض الامة في داره ويعلمها بما هي صائرة اليه من الهلاك . ارجو  
ان يكون ذلك باعثاً لها على الانتباه . فقال : ان أهل الشرق لا ينهم  
النصح وانما ينهم الجوع . فاذا هم جاعوا طلبوا حقهم

قلت : هذا غلو منك

قال : بل هو الحق الذي لا يختلف فيه . وما كلمتك الا كلام مجرب

وقد أيدت الأيام كلام صديقي . فحدث بسواس غلاء . قبل اعلان الدستور بأشهر قلائل . وأخذ التجار يغلون الحنطة ثم لا يبيعون ما في خزائهم إلا بعد رجاء تيبس له الألسن في الأفواه . فتظلم الناس الى الولاية والوالي اذ ذاك في حوضه ينتظر ما قدر له من غدر عبد الحميد . فلم يتمكن من الاسراع الى اغائة الملهوفين . فأقبلوا ذات يوم في جموع يزاحم بعضها بعضاً حتى وقفوا على باب الحكومة . فاتهرهم الجندرمة والبوليس . فهاج اتهارهم غضب المتجمعين . فحملوا على الأبواب وعلى الاجناد حملة ترحزح الجبال عن مواضعها . فغلقت الابواب واعتصم حراسها بالقصر . وكان الدقردار وكيلاً عن الوالي . فأبرق اليه يخبره الخبر ولم يبين الأمر بياناً شافياً . فجاء أمر الوالي برد الناس الى منازلهم وضربهم اذا أبوا . غير ان الجنود أبت الامتثال وتركت اخواتهم يهبون المخازن ولا يتعرضون لهم بشر . وما انتهت الفتنة يومئذ إلا حين نفدت الحنطة من المخازن

فأقبل عليّ امير باشا باسمًا وأخذ بيدي وهو يقول : نحن لا نجادلكم فيما تعلمون فما لكم تجادلونا فيما نعلم . أرايت يا ابن اخي كيف صدق يقيني وكذب ظنك . فأما وقد عرفت الأمة انها قادرة على مغالبة الحكومة وان صاحب الحق أقرب ما يكون من حقه اذا طلبه بساعده . فان وراء ذلك خيراً يرجى

قات : حسبك . وعظت وعظماً ما خات اني أسمعه وراء (جاملي بل)

والله على كل شيء قدير

وكان أهل ارضروم ناروا قبل ذلك بأشهر على واليهم . فضرروه

حتى أماتوه . غير ان ثورتهم لم تكن من الجوع . فقد أراد ذلك الوالي نفي رجل من سرايهم . فاخذه من بيته ليلاً . فخلصوا صاحبهم وعاقبوا المعتدي عقاباً اضطربت له جوانب يلديز . وجاءت اخبار غضبهم هذه نيازي ورفاقه المجاهدين . فجددت عزائمهم وأحيت آمالهم ولئن عرفت الحكومة العثمانية الناشئة ان تسترجع الشورى من غاصبها . فذلك فضل تزيد معرفتها باستدامته . ومتى ذاقتم الأمة عذب طعم الحرية وفطنت لما تنال في أيامها من الصفو والرخاء . أمست وهي أشد غيرة عليها من الأحرار وباتت أمة حرة بأسرها ووضحت لها خطيئات أهل الأهواء



## فهرست الجزء الثاني

صفحة		صفحة	
٨٧	ما كابداه أهل بيتي في فروق	٣	مقدمة
٩٠	قدوم رشيد عاكف والأعلى سيواس	٥	كيف نفوني الى سيواس
٩٩	كلمة في الاناضولي	٢٢	السجن
١٠٦	جغرافية ولاية سيواس	٣٣	أعوان النعمة
١١٦	آثار القدماء في سيواس	٣٧	السجن الجديد
	واردات ولاية سيواس ونفقاتها	٤٠	الاحرار في بطون الارض
١٢٢	في سنة ١٣٢٣ مالية	٤٢	بعض ما وقع أيام سجنني
١٢٧	تلخيص الخلاصة في تاريخ سيواس	٤٧	من السجن الى الباخرة
	أسماء الولاة والمتصرفين الذين	٥٠	نظرة في حال فروق
١٣٢	ولوا سيواس	٥٢	وداع فروق
١٣٧	رجال الدين في سيواس	٦١	صامسون
١٤٢	أقبال سيواس وسراتها	٦٣	كتاب الى الصديق الأوفى
١٤٦	اخواني في النفي	٦٥	الى سيواس
١٥٠	كيف مرّت أيامي بسيواس	٧٧	سيواس
١٥٤	أهل سيواس	٨٢	وفاة الحاج حسن حلمي باشا
١٥٨	الأمة والشورى		زفرة من زفراتي